رواية
..لن أخبر أحد..
بيدوفيليا
أسماء سالم

بيـــدوفيليـــــا

(لن أخبر أحد)

رواية

أسماء سالم

اسم الكتاب	بيدوفيليا
اسم الكاتب	أسماء سالم
تصنيف العمل	رواية
مراجعة لغوية	لؤي سليمان، منى القاضي
تحرير	إيمان وحيد
إخراج فني	سعيد الشوادفي
تصميم الغلاف	زهو عبد الحميد
رقم الإيداع	٢٠٢٢/٢٣٠٦١
الترقيم الدولي	٩٧٨ - ٩٧٧ - ٦٩٥٣ - ٨٧ - ١
الناشر	دار بَانَ للنشر والتوزيع

نحن رعاية دار القاهرة اليوم للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة ويحظر طبع أو تصوير أو تخزين أي
جزء من الكتاب
بأي وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابي
صريح من الناشر

الفصل الأول

صوتُ موجِ البحر يعمل على التأمل، الاسترخاء، يساعد في تغيير موجات الدماغ، يعشقه الكثيرون، هو الوحيد الذي يفصلهم عن الفوضى الخارجية، يلجأ إليه البعض في حالات حُزنهم والعكس.

يعزف صوت موج البحر تناغمًا مع الرياح وتساقط الندى عزفًا جميلًا، ورغم برودة الطقس وتأخر الوقت، لم يخل الطريق من المارة المُلهمين بهذا المنظر، يتساقط الندى على رؤوسهم، فيتراقصون تحت تأثيره مهللين:

ـ ستمطر.. ستمطر.

يضرب موج البحر بالصخور، فيتطاير رذاذ الماء على وجوههم، وترتسم على ثغرهم ابتسامة تعبر عن مدى راحتهم وفرحتهم بتلك الأجواء الشتوية..

إلا هي، وجهها يكسوه ملامح الحزن، ترفع وجهها للسماء بعينين دامعتين.. تتأمل السماء بعينيها بندقية اللون اللتين ينسدل منهما الدمع كاللؤلؤ، يضرب الندى وجنتيها بخفة.. فيختلط العذب والمالح معًا، يرتفع صوت تلاطم الأمواج مما جعلها تضع يديها بقوة على أذنيها، وكأنها تسمع صرخات عالية لا هدير أمواج، تصطدم الأمواج بقوة بتلك الصخور كالثائرين في ذروة غضبهم، فترتفع المياه عالية وتغطي كل من كان يقف بالقرب أعلاها، تنظر لهم نظراتٍ مرتعشة وهي ترتجف وتقترب أكثر، ثم تتراجع خطواتٍ قليلة، تبكي بشدة وفي صمتٍ تام... تضع كلتا يديها على وجهها ظنًا منها أنها تخفي حزنها، كالنعام الذي يدفن رأسه داخل الرمال، ومن ثم تقوم وتقترب ثم تتراجع، حتى أدارت ظهرها وهي تنظر إلى إحدى البنايات المطلة على شاطئ البحر بـ (الإسكندرية)، ظنت أنها تحاول تهدئة ذاتها، ولكنها أسرعت إلي ذلك المبنى.. غير مكترثة بالسيارات من حولها وهي تعبر الطريق، مما تسبب تهورها هذا في غضب بعض السائقين، فسبها أحدهم وهي تعبر أمام سيارته

دون الالتفات له، حتى سمعت ما قاله.. فتراجعت خطواتها إلى الوراء، واقتربت منه وكأن جملته سرقتها من عالمها الذي كانت تغرق فيه منذُ قليل، وأعادت قول ما قاله لها واستكملت..

ـ أتحملت هذا؟

علت نبرته عليها قائلًا في غضب:

ـ لا.. أنتِ من جعلتني أتلفظ هكذا رغمًا عني بتهورك، ولن أسمح لكِ بأن تسيئي إلى أمي!

رافعًا يده أمام وجهها محذرًا إياها إعادة ما قالته..

فأمسكت به صارخة بوجهه:

ـ وأنا سأضعك أسفل عجلات سيارتك، وسأقوم بدهسك عشرات المرات إن رفعت صوتك ولفظت ما قُلته لي مرة أخرى.

ثم فرت من أمامه وهي تبعد الناس عن طريقها بعد أن اجتمعوا حولهما إثر الشجار.

اقتربت من مبنى ذي ارتفاعٍ شاهق، وصعدت عبر المصعد إلى أعلى طابق بالمبنى، نظرت إلى ملامحها في انعكاس المرآة داخل المصعد.. ففرت دمعة من عينيها على ما وصلت له من حالس يُرثى لها، وصل المصعد ولم تخرج، تسمرت أمام وجهها طويلًا تتمتم بكلماتٍ غير مفهومة، وحين أدركت وصولها.. فتحت باب المصعد بقوة، فأدى ذلك لاصطدام طفلة صغيرة كانت تقف خلف الباب، لم تنتبه لها بادئ الأمر، وعندما سمعتها تبدلت ملامحها فأصبحت أكثر هدوءًا، وربتت على رأسها معتذرة:

ـ أنا لم أركِ حبيبتي، اعذريني.

وضمتها إليها.. فأردفت الطفلة:

ـ لا عليكِ، أنا التي لم أنتبه لوجود باب المصعد بالقرب مني هكذا وأنا أبحث عن

قطتي.

وذهبت الطفلة بعيدًا عنها وهي تستند على الجدار وتتحسسه منادية على قطتها.. فشهقت من هول المفاجأة عندما علمت أن الطفلة لا ترى، وفرت من عينيها الدموع، وبكت في صمتٍ تام.

تراجعت الطفلة للوراء عائدة إليها محاولة لمسها، فمدت يدها للطفلة، اقتربت الطفلة أكثر وضمتها بين ذراعيها بقوة وأطالت عناقها؛ فاستجابت وبادلتها العناق، أخذت تقبل وجنتيها، وسألتها:

ـ لما عدتِ وارتميتِ بين أحضاني هكذا!؟

أسرعت الطفلة قائلة:

ـ سمعت بكاء قلبك.

ـ بكاء قلبي!؟

خرجت الكلمات تملأها الدهشة.. فأجابت الطفلة:

ـ نعم.. بكاء قلبك لن يكف سوى بعناقٍ صادق، عكس بكاء عينيكِ، تجففه قطعة من القماش.

ضمتها الفتاة أكثر وسألتها:

ـ كم عمرك يا صغيرتي!؟

أجابت الطفلة:

ـ عن أي عُمر تقصدين!؟

ـ وهل للإنسان أكثر من عمر!؟

أردفت الطفلة وهي تتحسس الجدار لتصل لمكان آمنٍ تجلس فيه قائلة:

ـ للشخص ثلاثة أعمار.. عُمرٌ يُكتب له منذُ ولادته، وعُمرٌ يكتبه له الناس والمواقف

التي يمر بها، وعُمرٌ يكتبه الشخص ذاته لعقله.

جحظت عينا الفتاة من حديث الطفلة التي لم تبلغ العاشرة من عمرها بعد، وسألتها:

ـ كيف علمتِ كل هذا وأنتِ... يعني أقصد أنك...

لم تستكمل الفتاة حديثها، قاطعتها الطفلة لترفع عنها الحرج قائلة:

ـ من أبي.

ثم أردفت:

ـ ليس هذا فحسب؛ أنا أملك ما لا يملكهُ رجالٌ يبصرون، لذلك شعرت بكِ عند بكائك.

واستكملت:

ـ أنا أخشى التعامل مع البشر، لكني أعلم ما بداخلهم جيدًا.

أسرعت الفتاة لتصلح سوء الفهم قائلة:

ـ حبيبتي.. أنا لم أقصد إهانتك، كل ما في الأمر أنني أحاول استيعاب ما تقولينه، وأنتِ صغيرة السن هكذا.

حدقت الفتاة بها وهي ترى أثر التصادم أعلى جبهتها، فلمستها بأطراف أصابعها المرتجفة، معتذرة مرة أخرى.

قالت الطفلة وهي ترسم على ثغرها ابتسامة واسعة:

ـ حقًا لم أتأذ، حتى وإن كانت تنزف دمًا.

لم تفهم الفتاة كلام الطفلة وأجابت:

ـ كيف!؟

أجابتها الطفلة وهي تضحك على الفتاة البالغة قائلة:

ـ لا يصيبك شيء إلا ما كُتب لك، وكل ما كتبه الله خير، فصدمة ذلك الباب، إما أن تمحو من صحيفتك ذنبًا أو تزيدك درجات.

فأجابت الفتاة بفخرٍ وثقة عالية:

ـ حسنًا.. حسنًا، لقد فهمت الآن، بارك الله فيكِ وفيمن علمكِ.

ضحكت الطفلة ثانيةً وهي تحذر الفتاة:

ـ لا تتعجلي في شيء حتى لا تصيبكِ الخيبة، إذا وجدتِ خطئكِ الفادح بسبب سذاجتك مع من حولك.

انكمشت ملامح الفتاة وقالت في ضيق:

ـ أتريدينني أن أفهم أن ما قلته لكِ خطأ؟

أجابت الطفلة وهي تقوم من جلستها:

ـ لا.. ليس بشكلٍ كامل، ولكنكِ مندفعة قليلًا في قراراتك، وهذا واضحٌ لي بشكلٍ كافٍ جدًا.

تلعثمت الفتاة بالقول.. وأردفت:

ـ كيف؟ أتقصدين لأني فتحت الباب مسرعة دونما انتباه!؟

أجابت الطفلة كالعادة إجابة تفوق عمرها قائلة:

ـ اعلمي جيدًا أن بكل نهاية طريق بداية لطريقٍ آخر، وأن كل ما تمرين به لن يؤذي أحدًا غيرك، لا شخصًا آخر، وأنكِ وحدكِ من تخوض كل تلك التجارب.. أنتِ وحدك، أفهمتِ؟

الفصل الثاني

السبت.. الثاني من أكتوبر ٢٠٢١..
السابعة صباحًا..

يضرب ضوء النهار زجاج نافذتها، تخترقه أشعة الشمس الدافئة لتتركز على بشرتها الخمرية، فتداعب نسمات الهواء الباردة ستائر غرفتها الصغيرة، مما يجعلها تتقلب على فراشها في كسل، وتحاول الاختباء خلف وسادتها، لكن زقزقة العصافير لم تمهلها الفرصة لتنعم بالنوم مرة أخرى، تستسلم صاحبة الوجه المستدير ذي الملامح الهادئة، وتقوم بتأفف قاصدة المرآة كعادتها، تقف تتأمل وجهها بعينين ناعستين محدثة نفسها، بكلمات تحفيزية اعتادت قولها؛ لتعطي لذاتها جرعة من الطاقة، وتتذكر ما يجب عليها فعله، وكأنها تؤكد أهمية واجباتها وما تنتويه اليوم.

ذهبت "لوسيندا" لتأخذ حمامها الصباحي، بينما دلفت والدتها "ماجدة" إلى الغرفة، امرأة أربعينية، لابد وأن ابنتها ورثت الكثير من ملامحها وكأنها نسخة مصغرة منها، اقتربت الأم من مكتب "لوسيندا" تنظر له في ضيقٍ من فوضويته.. وتنادي على ابنتها بنبرةٍ صارمة..

لتجيب "لوسيندا" من داخل حمامها الخاص الذي صنعته مؤخرًا داخل غرفتها رغمًا عن والدتها، مما أدى إلى ضيق مساحة الغرفة، الأمر الذي لم ترض عنه "ماجدة" منذُ البداية، وكلما دلفت للغرفة تتذكر ما فعلته "لوسيندا"، فتنفجر غيظًا وتقوم بالشجار مع ابنتها على أصغر الأشياء التي تحدث بينهما، لتفرغ شُحنتها الداخلية من الأمر الوحيد الذي حدث رغمًا عنها في هذا المنزل منذُ بنائه.

هي حتى الآن لا تعرف ما السبب وراء ما فعلته "لوسيندا"، ولولا موافقة زوجها لكان الأمر مرضيًا لها، ولكنه وافق على طلب ابنته، وسمح لها بأن تمتلك خصوصية

أكبر، مهمًا كان فهو يرى ابنته كبيرة بما يكفي لتأخذ قراراتٍ بحياتها دون التدخل في أسبابٍ لا تؤثر عليه في شيء، ما دام يرى ابنته في حالةٍ جيدة، فلا يكترث لشيء آخر، عكسها تمامًا..

فهي ترى أن من حقها التدخل بكل ما يخص ابنتها، تحت بند الخوف الزائد عليها، وأنها الوحيدة التي تعرف مصلحتها أكثر من أي شخصٍ آخر، وأين من المفترض أن تكون.

خرجت "لوسيندا" تخبئ وجهها بالمنشفة، فلم تنتبه لوجود والدتها بغرفتها، كانت تتمتم بكلماتٍ لا يسمعها غير القريب منها، قاطعتها والدتها متسائلة:

ـ ماذا تقولين يا لوسيندا!؟

ارتجفت "لوسيندا" وكشفت عن وجهها وهي تتنقل بنظراتها في أركان غرفتها تبحث عن والدتها، وأجابت بتلعثم:

ـ لم أقُل شيئًا يا أمي، أنا فقط أتذكر ما يجب عليّ فعله اليوم.

ضحكت "ماجدة"، مما جعل "لوسيندا" تشعر بالغضب من ردة فعل والدتها أمام كل شيء تقوم به أو تقوله.

أردفت "ماجدة" متسائلة:

ـ إلى متى ستظلين هكذا، تتحدثين مع نفسك وكأنك ما زلتِ في السادسة من عمرك؟ ترددين النص قبل تسميعه خوفًا من نسيانه!

تنفست "لوسيندا" بنفاد صبر، وهي تقترب من خزانة ملابسها، ومدت يدها نحو المقبض، وقبل أن تقوم بفتحه وجهت نظراتها إلى والدتها وأجابت بنبرةٍ تملأها الثقة والإصرار على قولها:

ـ ليس هناك أحدٌ أصدق مني لأقوم بالحديث معه، وأخبره بكل ما أقوم به.

ففتحت خزانتها، واختارت رداءً طويلًا زهري اللون، يتوسطه حزامٌ من القماش باللون الأسود ورفعته أمام عينيها، متصنعة التأمل به.. لكنها كانت تحجب رؤية والدتها عنها، غير مكترثة بنظراتها لها.

قامت "ماجدة" من جلستها على الكرسي الخاص بمكتب "لوسيندا" وأزاحته بعصبيةٍ بعيدًا عنها، وأردفت بنبرةٍ حاسمة وهي تغادر الغرفة:

ـ سيقوم بزيارتنا اليوم عريسٌ آخر، أتمنى أن تكوني في انتظاره، ولا تفعلي ما تفعلينه كل مرة، لن أسمح لكِ بذلك يا لوسيندا.

لم تتمالك "لوسيندا" نفسها وهي تقول بنبرةٍ مختنقة:

ـ لن أفعل.. لن أفعل ما تريدينه مني يا أمي، لن أتزوج هكذا، ولا أريد مقابلة أحد أبدًا، أفهمتِ ما أعنيه؟

تراجعت الأم بخطواتٍ قليلة إلى الخلف في هدوء وهي تقترب من ابنتها، حتى كادت أن تلتصق بوجهها وأردفت بنبرةِ تهديد:

ـ كفاكِ عنادًا معي يا لوسيندا، لن أسمح لكِ بفعل ما تخططين له، إن رفضتِ مقابلته سأضعكِ بوضعٍ لن يعجبكِ أبدًا، فلا تقفِي أمامي هكذا مرة ثانية.

حدقت بها "لوسيندا" وهي تبتعد عنها وتدير لها ظهرها قائلة بنبرةٍ مرتجفة:

ـ أنتِ من تقف أمامِي ولست أنا، وكأنني لستُ ابنتك، ترغمينني على فعل ما لا أطيق، ودائمة الشجار معي في كل شيء وكأني ما زلت طفلةً أمام عينيكِ، ولست فتاة بالغة بما يكفي.

تقترب الأم من باب الغرفة مستندة عليه، وتوجه نظراتها لابنتها التي تدير ظهرها لها، قائلة بصرامة:

ـ سنرى من منا سينفذ ما برأسه يا لوسيندا.

غادرت "ماجدة" الغرفة.. فأسرعت "لوسيندا" بغلق الباب بمفتاحه الخاص في عصبيّة، واتجهت نحو مرآتها، قائلة بنبرةٍ آمرة:

ـ لا تبكي.. لا تبكي.. لا تبكي يا لوسيندا، لن تقومي بفعل شيءٍ رغمًا عنكِ مرةً أخرى، لا تخافي، فأنا معكِ يا لوسيندا، أنا معكِ.

❊❊❊❊

وقفت "ماجدة" بغرفتها وهي تتأفف وتُتمتم بكلماتٍ غير مفهومة، حتى أفاق والد "لوسيندا" من نومته، وهو يفرك جفنيه؛ ليستطيع رؤية زوجته في ضوء النهار الذي ملأ غرفته، بعد أن فتحت النافذة على مصراعيها وأزاحت ستائر الغرفة ليصاب زوجها بالانزعاج من فعلتها، اقترب منها هذا الرجل المُسن ذو الوجه الطويل، مستندًا على الجدران، حتى وصل إليها وربت على كتفيها بحنانٍ واضح، قائلًا لها بنبرةٍ هادئة، يملؤها الدفء:

ـ صباحكِ يشبه طبيعة الخالق حبيبتي، ما بكِ؟

التفتت إليه وهي تبتعد عن نظرات عينيه، وكأنها تبحث عن شيءٍ بالغرفة، وأردفت قائلة:

ـ لوسيندا.. ستدمر ما تبقى داخلي، لم أستطع أن أتعامل معها.

لمس ذقنها بأطراف أنامله، ليقربها منه أكثر، وقال بتوسل:

ـ لوسيندا ابنتك الكبرى، يجب عليكِ التنازل كي تستطيعي الوصول لها، اتركِ لها مساحتها، وهي من ستقوم بعد ذلك بالمبادرة بالحديث معكِ.

ضمها إلى صدره واستكمل حديثه بدلال:

ـ لا جدوى من إخفاء دموعكِ عني مرةً أخرى، أنسيتِ أنني أشعر بكِ!؟

ولها كل الحق بأن تخفي عنكِ الكثير، فأنتِ صارمة بأفعالك وحديثكِ دائمًا حبيبتي،

إن كنت أنا لم أحتمل، فكيف تريدينها أن تفعل ذلك!؟

وانفجر ضاحكًا.. حتى لكمته على صدره وابتعدت عنه وهي تقول في حزنٍ متصنع محاولة إخفاء ابتسامتها عنه:

ـ لن ينفع معكم غير هذا الأسلوب، فلولاه لأفلت زمامكم جميعًا بهذا المنزل، إن كنت أنت او ابنتك العنيدة، والأخرى التي لا أعلم كيف نشأت بيننا بشخصيتها تلك، أما عن ليام فهو الوحيد الذي يريـح قلبي.

قال وهو يحمل منشفته الخاصة، متجهًا خارج غرفته:

ـ أصدقتكِ هكذا!؟

قلت لكِ أشعر بك إن كنتِ تبكين أو تبتسمين، لا تلعبي معي هذا الدور مجددًا..

ورجع إليها مسرعًا وقال بخفوت:

ـ اتركي لي أمر لوسيندا ولا تزعجي حالك، أنا سأعرف كيف أجعلها تفعل ما تريدين دون ضغط منكِ، وفر إلى خارج الغرفة وهو يغني لابنته بصوتٍ يسمعهُ كل من بالمنزل، وربما من بخارجه أيضًا.

خرجت "لوسيندا" على صوت والدها، وهي تستكمل ارتداء حجابها وتبتسم له، فارتمت بين أحضانه ووضعت قبلةً على وجنته، وهي تهمس له بشيء.. فهز رأسه وكأنه يعلم، ووضع يده على شفتيه لتقطع حديثها، فغيرت مجرى الحديث قائلة برجاء:

ـ أريد منك السماح لي اليوم يا أبي بالذهاب مع رفيقتي ليلى، لشراء بعض الاحتياجات الخاصة بها عقب انتهائي من العمل بالدار.

وافق والدها بشرط أن تكون بالمنزل قبل وصول الضيوف، وأكد عليها الحضور قبل الموعد بساعة، فوافقت "لوسيندا" وقفزت بأحضان والدها، تترقبها والدتها

عبر باب غرفتها في صمت، أشار عليها والدها بالذهاب إلى والدتها قبل أن ترحل، فلبت رغبته، واقتربت "لوسيندا" من باب الغرفة وهي تدق عليه بأصابعها دقات خفيفة.. لتسمح "ماجدة" لها بالدخول دون النظر إليها، قبلت "لوسيندا" رأس والدتها قائلة لها:

ـ سأكون أمامكِ قبل الموعد يا أمي، ولكن أريدكِ أن تعلمي أنني لن أفعل شيئًا رغمًا عني.

وقبل أن تنتظر ردًا من والدتها ختمت حديثها بجملتها..

ـ أحبك أمي.

وفرت هاربة من أمامها.

****

صوت موسيقى هادئة يصدر من غرفة مكتبها، تداعب أطراف أناملها بعض الكتب المرتصة على الأرفف، وكأنها تعزف بعض الألحان على تلك المجلدات مع صوت ألحان موسيقاها الخاصة، فُتح باب المكتب بقوة وأصبح صوت بكاء الطفلة يعلو على ذلك الجهاز الذي تصدر منه تلك النغمات الهادئة، ارتجف جسدها إثر ذلك ونظرت تجاه باب المكتب لتجد طفلة لا تتعدى الخمس سنوات برداءٍ قصيرٍ يكشف عن ركبتيها، وبيدها تقبض على شيءٍ وتمده لـ "لوسيندا"، وهي تتفوه بكلماتٍ غير مفهومة مصحوبة بالبكاء، وبيدها الأخرى تشير إلى إحدى الفتيات الجالسات بالقرب من الغرفة غير مكترثة لما يحدث، وكأنها منهمكة في عملٍ ما، اقتربت منها "لوسيندا" وضمتها إلى صدرها لكي تهدأ قليلًا، وتفهم منها ما حدث..

حتى أتت الأخرى وهي تعطي الفتاة الباكية جزءًا من القماش مشابه لفستانها القصير، قائلة بفخرٍ وتعالٍ:

ـ لقد صنعت لكِ هذا لتضعيه على كتفيكِ أثناء دخولك الحفل غدًا.

ابتسمت "لوسيندا" واستجمعت ما حدث وهي تنظر إلى رداء الطفلة الباكية، وتربت عليها بحنانٍ قائلة:

ـ رفيقتكِ صنعت لكِ زيًا خاصًا بالحفل، وغيرت كثيرًا في شكل التصميم الخاص بفستانكِ صغيرتي، لا تبكي.. يجب عليكِ شكرها، وقومي هيا الآن وسوف آتي إليكِ بعد قليل لنقوم بفقرة التصوير.

تواصل الصغيرة استجماع شجاعتها وكأنها اقتنعت بما قالته "لوسيندا"، فابتسمت وشكرت رفيقتها وهرولت مسرعة إلى خارج الغرفة وهي تقفز فرحًا بقطعة القماش، وقفت "لوسيندا" أمام الأخرى وقالت بحماس:

ـ أنا فخورةٌ بكِ كثيرًا، لقد قمتِ بتصميم آخر، ولكن أرفض تمامًا استخدام ملابس صديقاتك بالدار لفعل ذلك مرة أخرى، كما أرفض استخدامك المقص خلسة وبنفسكِ دون الرجوع لمن هو أكبر منكِ.

جثت أمامها معتذرة، وقبل أن يسيل دمعها على وجنتيها الوردية، قبلتها "لوسيندا" وهي تعدها بإحضار ما يلزم لتقوم بتصاميم أخرى، بدلًا من إفساد ملابس فتيات الدار كعادتها، قبلتها الطفلة وجرت خلف صديقتها قائلة بنبرةٍ عاليةٍ ممزوجة بالمرح:

-سأصنع لكِ فستانًا آخر، لا تبكي.. فهناك تصاميم كثيرة لن تفهميها أخبئها لكِ.

ضحكت "لوسيندا" على فعل تلك الشقية ودلفت إلى مكتبها، شردت قليلًا.. فتبدلت ملامحها إلى العبوس والضيق، وكأن هناك مشهدًا آخر تتابعه بنظراتها، وهي تجلس على الأريكة المقابلة للمكتب، اغرورقت عيناها بالدمع وتملكتها ارتجافة بجسدها إثر بعض الذكريات، فضمت ذراعيها وكأنها تحتضن نفسها، وأغمضت عينيها بقوة حتى سال دمعها بحرارة، وكأنه يعرف طريقه، بقيت على حالها هذا بضع دقائق، أخرجها من هذا الوضع صوت رنين هاتفها بنغمةٍ خاصة يعلن أن والدها هو المتصل، جففت دموع عينيها وتنفست الصعداء، وأجابت وهي تحاول أن ترسم على ثغرها ابتسامة وكأنها تخفي ما حدث لها منذ قليل، ولكن

عندما تحدثت، سكت والدها وأردف متسائلًا بقلق:

ـ ما بكِ يا ابنتي!؟

حاولت استجماع شجاعتها وهي تجيب:

ـ لا شيء يا أبي، أنا فقط أشعر بالدوار، ولا أستطيع التركيز بعملي الآن.

قال والدها مسرعًا:

ـ ابقي مكانكِ، سآتي إليكِ لأخذكِ إلى الطبيب، وقومي بالاعتذار لصديقتكِ اليوم عن عدم ذهابكِ معها.

أسرعت "لوسيندا" وقالت معترضة:

ـ أبي، أنا بخير، لا عليك حبيبي، كن مطمئنًا.

قال والدها:

ـ إلى متى ستبقين على حالك؟ كُلما أتى عريسٌ جديد يتملك منكِ الخوف والضيق هكذا.

تتنفس "لوسيندا" بهدوءٍ وهي تردف:

ـ أبي، أنا لا أريد الزواج بأي رجل مهما كان من يكون، أنا أرفض الفكرة تمامًا.

أجاب الوالد:

ـ ألا تعلمين كم أصبح عمركِ الآن يا ابنتي؟

أنا أريد أنا أطمئن عليكِ، وأمك قلبها كاد ينزف دمًا من قلقها بشأنك.

أجابته مرتجفة وبنبرةٍ متلعثمة:

ـ أبي، هل تسمح لي بعدم الحضور!

ـ لقد طفح الكيل يا لوسيندا، لن أسمح بأن يتكرر ما تفعلينه كل مرة، يكفي هذا.. أتسمعينني؟

قالها بنبرةٍ حاسمة وبنفاد صبر، فأجابته وهي تكاد تختنق من الحديث:

ـ حسنًا أبي، سأحضر.

****

رجعت "لوسيندا" بذاكرتها منذُ سنوات بأحد التجمعات العائلية.. وهي تقف في شرفة منزل أحد الأقارب، تترقب الطيور داخل قفصها، تمد لها يدها وتداعب إحداها، راحت تسعل فجأة من دخان التبغ الذي يشربه أحد أصدقاء العائلة، والذي اقتحم عالمها فاحتل جزءًا منه..

"زين زيدان"، صديق ابن عمها، يعشق "لوسيندا" منُذُ طفولتهما، وهي أيضًا تبادله الإعجاب، لكنها تتهرب منه كُلما أتى إليها، تخشى جرأته، كما تخشى ضعفها أمامه، وكُلما حاول الاقتراب منها تجنبته، أو قامت بتغيير مجرى حديثهما، إلى أن جاء ذلك اليوم، يوم خطبة شقيقة "زين"، على "عماد كامل" ابن عم "لوسيندا"، لم تحاول الفرار منه كعادتها، أجبرها "زين" على الجلوس أمامه بطريقته الخاصة التي تذيب الجليد، ضعفت كعادتها ولم تستطع الفرار، فهو يحاول الحديث معها لا أكثر.

استجابت له "لوسيندا" وجلست على الكرسي المقابل له، تتجنب النظر إلى عينيه الواسعتين، سعلت مرة أخرى إثر هذا الدخان الأزرق الذي يتطاير أمامها كالسحاب، رفع أحد حاجبيه وابتسم لها وألقى سيجارته جانبًا أعلى السور الحديدي، فشهقت "لوسيندا" وقامت بالنظر إلى الطريق خوفًا من أن تؤذي سيجارته أحد المارة، فضحك على فعلتها بشدة وهو يتخلل بأصابعه خصلات شعره الناعمة، بينما هي توبخه على فعلته، حتى ربت على يدها قائلًا بصوته الرخيم:

ـ لا تخافي حبيبتي، فليس هناك أحد بالطريق، هلا جلستِ لنتحدث قليلًا، قبل أن يلاحظ غيابنا أحد.

سحبت يدها مسرعةً من بين يديه، وقامت من جلستها قائلة:

ـ أنا أشعر بالعطش، سأذهب لإحضار كوب من العصير.

أغمض "زين" عينيه وهو مقبض على أسنانه بغيظ، وتنهد في ضيقٍ وأردف:

ـ دقائق وسأتركك ترحلين "لوسيندا"، هيا اجلسي، أرجوكِ حبيبتي.

تعشق طريقته معها، تتلذذ بإثارة غضبه، لترى كيف يتحول من ثورٍ هائج إلى طفلٍ هادئٍ وديع أمامها، يستطيع كظم غيظه منها والاستسلام لها مهما فعلت، تحب ملامحه الرجولية، وتعشق شخصيته كثيرًا، ولكنها تخشى المواجهة، تبتعد.. وتبتعد.. حتى جن جنونه منها، ولم يستطع أغلب الأوقات السيطرة على رد فعله أمامها، ولكن بالأخير فهو يتراجع من أجلها دائمًا ويتخلى عن عصبيته لراحتها، مرت الدقائق في سلام، متواعدان على المقابلة غدًا داخل حرم الجامعة، عقب انتهاء محاضراتها.

****

عاد رنين هاتفها يعلن عن اتصالٍ جديدٍ لتفيق "لوسيندا" من ذكرياتها سريعًا، كانت صديقتها "ليلى" تذكرها بموعدهما بعد قليل، أجابتها بتأكيد الموعد والمكان المتفق عليه للمقابلة، وهمت واقفه تأخذ بعضًا من الأوراق الموضوعة على سطح مكتبها، ضغطت على زرٍ جانب يدها، فدخلت سيدة أربعينية سمراء، وأخذت منها الملف، أكدت عليها "لوسيندا" بتسليمه لمديرة الدار، لأنه خاص بتجهيزات الحفلة المنتظرة، أومأت السيدة برأسها ورحلت.

****

ذهبت "لوسيندا" لمكان لقائها بصديقتها، ولكن "ليلى" لم تأتِ بعد، مما جعلها تتسكع قليلًا وترى بعض المشتريات المحتمل شراؤها، جذب أنظارها فستان زفاف بأحد المولات، ولكن لم تستمر في النظر إليه ونفرت منه، انكمشت ملامحها وذهبت من أمامه مسرعة، أوقفها رجل معتذرًا، فزادت انقباضة ملامحها، وقالت له بعصبيةٍ:

ـ ماذا تريد مني؟ ابتعد.

اندهش الرجل من معاملتها له هكذا، فاعتذر منها وقال متسائلًا:

ـ أنا غريبٌ عن هنا، وكنت أبحث عن عيادة طبيبة تُدعى "أميرة عز الدين".

ـ وأنا أيضًا غريبة، ولا أعلم شيئًا هنا، ابتعد من فضلك.

رحلت من أمامه وهي تتجنب الزحام وتبحث عن مكانٍ قريبٍ تنتظر فيه "ليلى"، تركته مندهشًا لا يعلم أي خطأ اقترفه لينال كل هذا منها، فابتسم رغمًا عنه، وقال بصوتٍ مسموع:

ـ يجب عليكِ أنتِ الذهاب للطبيبة "أميرة"، صدقًا.

وذهب في طريقه يبحث عن عيادة تلك الطبيبة التي كانت تبعد عنه عدة أمتار قليلة..

عرجت "لوسيندا" على مطعمٍ قريبٍ فأتاها النادل مسرعا يقدم لها قائمة المشروبات والمأكولات الخاصة بالمكان ورحل.. أمسكت بهاتفها تبحث عن رقم "ليلى"، وقبل أن تتصل بها، قام الهاتف بالرنين لتعلن شاشته أن المتصلة هي "ليلى"، أجابت "لوسيندا" وأفرغت شحنتها بصديقتها لعدم التزامها بالموعد، حتى هدأت قليلًا.. فأخبرتها بمكانها وأنهت الاتصال.

قامت من جلستها عندما جذبها رفٌ صغير، تملأه الكتب القديمة العتيقة وبعض المجلات الحديثة، وقفت تتأمله وتقرأ العناوين الظاهرة أمامها، وهناك عينان تتأملانها هي منذُ دخولها هذا المكان، أخذت كتابًا بطريقةٍ عشوائية، وأسرعت إلى مكانها وهي ترفعه أمام عينيها مدعية أنها غارقة بالقراءة، ولكنها تحجب رؤيتها عن الآخرين.

الفصل الثالث

أكتوبر ٢٠٠٤..

منزلٌ بسيط.. مبنٍ على أسسٍ هندسية قديمة، تفوح منه رائحة الطعام وقت الظهيرة، هناك مذياعٌ صغير يخرج منه صوتٌ هادئٌ للشيخ «محمود الحصري» يتلو سورة البقرة، سجادة الصلاة تتوسط الغرفة، تقف عليها امرأة ببشرةٍ ذات سمارٍ هادئ، وعينين واسعتين ذات لونٍ بندقي تغطيهما رموشٌ كثيفة شديدة السواد، وكأن الله أنزل عليها جمالًا على جمالها وهي تؤدي فريضته، لتكتسب هذا الجمال الطبيعي دون مجهود، أنهت السيدة فريضتها، وتمتمت ببعض الأدعية.. ومن ثم قامت لاستكمال إعداد الطعام داخل مطبخها.

بضع دقائق قليلة ودق جرس المنزل يعلن عن قدوم ضيفٍ على بابه، تركت السيدة ما بيدها وقامت بفتح باب شقتها، لترتمي بين أحضانها صغيرتها التي لا تتعدى الست سنوات، قبضت الصغيرة بقوة على والدتها، وكأنها تستمد من قوتها شيئًا ما، قامت السيدة بإبعاد الصغيرة عنها في تذمرٍ وهي تردف قائلة:

ـ لا وقت لهذا، يجب عليّ إنهاء الطعام قبل قدوم والدك.

ودلفت للمطبخ لاستكمال ما توقفت عنه، واستكملت حديثها متسائلة:

ـ ماذا فعلتِ اليوم بدرسك يا لولي؟ أخبريني كم نجمة حصلتِ عليها اليوم؟

لم تجب الصغيرة وأطالت النظر إلى والدتها بعينين دامعتين، ثم أردفت:

ـ سأغتسل لأغير ثيابي وأنهي واجبي، وأحكي معك بعد ذلك.

لم تجب الأم.. ففرت الصغيرة إلى الحمام المجاور في ضيقٍ وحزنٍ طفيف يظهر على ملامحها..

مرت أكثر من ساعة واقترب موعد الوالد، أنهت الأم الطعام وجلست أمام التلفاز

حتى أتت الصغيرة لتخبر والدتها بأنها قامت بإنهاء واجباتها، نظرت الأم بدفتر ابنتها وقامت بمدحها، ثم أحصت ما حصلت عليه الفتاة من نجوم واكتفت بقولها:

ـ أحسنتِ حبيبتي.

سحبت الصغيرة الكراس الخاص بها، وهي تسأل والدتها بتلعثم:

ـ لماذا يطيل بعض الرجال النظر لفتياتٍ صغيرات؟

لم تنتبه الأم لما قالته ابنتها، حتى عادت الصغيرة تكرر سؤالها مرة أخرى، وأضافت:

ـ بكت صديقتي اليوم كثيرًا، وأخبرتني بأن أحد أقاربها يقوم بهذا، وهذا يجعلها تشعر بالخوف منه.

نظرت الأم لها وهي تطلب من صغيرتها بنبرةٍ تحمل لمحة من الضيق إعادة ما قالته، ففعلت الصغيرة..

وسألت الأم:

ـ من الذي يفعل هذا معها!؟

تلعثمت الصغيرة بالقول وبلعت ريقها في مرارةٍ وخوف، وأردفت:

ـ إنه أخو والدها يا أمي.

ـ ولماذا تبكي صديقتكِ من نظراته لها!؟

هل نظراته تكون بهذا الكم من الرعب بالنسبة لصديقتكِ؟

ـ ليست مرعبة، ولكن هي تخاف منه، ولا تحبه أن يفعل هذا.

ـ حسنًا، لتخبر والدها إذن، ليقوم بتنبيهه.

رأت الصغيرة أن ما تريد إخباره لوالدتها لن يصل بهذا الحديث، ففكرت قليلًا وقالت:

ـ هل يجوز أن تستجيب الصغيرات مثلي لسلام المعلمين الذين يتواجدون معنا دائمًا واحتضانهم كآبائنا تمامًا؟

شعرت الأم بشيءٍ مريبٍ من حديث ابنتها هذا، فقالت لتنهي الحديث معها:

ـ لا يجب أن يحدث هذا، ولابد وأن تتزين الصغيرات الحلوات مثلك بالأخلاق، وما تتحدثين عنه ليس من أخلاقنا.

فأنهت الصغيرة حديثها ودلفت إلى غرفتها مرة أخرى.

❊❊❊❊

وبعد مرور أكثر من ثلاثة شهور تقريبًا، كان هناك مناسبة خاصة تجمع العائلة، وهو أول عيد ميلاد لـ "لبنى" الأخت الصغرى للطفلة "لولي"، وامتلأ المكان بالأقارب والأصدقاء.. اتخذ الصغار مكانًا خاصًا بالمنزل للعب فيه، واجتمع الآباء والأمهات في غرفةٍ واسعةٍ مخصصة لاستقبال الضيوف، مر الوقت إلى الآن مرور الكرام، حتى اعتذر الخال عن استكمال جلسته وهم بالانصراف وهو يبحث عن ابنه فلم يجده، فقامت صاحبة المنزل بالبحث عنه في الطابق العلوي المخصص بتخزين الأجهزة القديمة، وما جذبها هو بكاء ابنتها الصادر من داخل هذا المكان، أسرعت إليها الأم في خوف واصطدمت الطفلة بها وهي تحاول الهرب، مما جعل الفتاة تفقد النطق إثر ما حدث لها، وزادت رهبتها بظهور والدتها أمام عينيها، سمعت الأم خطواتٍ قادمة.. وظهر ابن اخيها وهو يعدل من هندامه، فارتجف عند رؤيتها وأجاب قبل أن تسأل هي:

ـ لقد كنا نختبئ هنا، فرأت فأرٌ بالداخل وخافت منه عمتي، فهي مرهفة للغاية.

لم ينتظر أن تجيب عليه، وأسرع إلى الطابق الأسفل ليلحق بوالده.. وبعد أن انصرف الجميع وخرج الأب لقضاء بعض حاجياته مصطحبًا معه "ليام" توأم "لوسيندا"، دلفت الأم لغرفة ابنتها وهي تصرخ بوجهها لتجيب، ولكنها لا تستطيع أن تقول شيئًا، فقط تبكي وتضم ركبتيها إلى صدرها حتى كادت أن تلتصق بأضلعها، فاقترحت الأم عدة اختيارات على صغيرتها لتفهم ما حدث لها، حتى قالت الأم بنفاد صبر:

ـ هل حاول لمسكِ؟

فهزت الطفلة رأسها بالإيجاب وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة، أعادت الأم اسئلتها قائلة:

ـ أرأى شيئًا بجسدك؟

فهزت الطفلة رأسها بالرفض.. لم تتمالك الأم الصمود، وانهالت على الطفلة بالضرب وهي تقوم بطرح الأسئلة:

ـ لماذا صعدتِ معه؟ لماذا تركتِه يلمس جسدك؟

لماذا؟ أجيبيني!

سأجعلكِ تنطقين رغمًا عنكِ.

وهرولت إلى مطبخها وأخذت سكينًا صغيرة، وقامت بتسخينها ووضعتها بيد الطفلة حتى زاد صراخها، وهي تحاول النطق ولم تفلح، صرخت الأم بوجهها مرةً أخرى.. فنطقت الطفلة وهي في حالةٍ يرثى لها قائلة:

ـ لم أسمح له بشيء، فقط لامس جسدي رغمًا عني، وصعدت للعب فقط لم أقصد شيئًا، ولم نكن بمفردنا صدقيني يا أمي، أنتِ تؤلمينني بشدة.. كفى يا أمي.

لم تستمع لها الأم وأكملت تعذيبها وهي تتلفظ بالشتائم، وما أنقذها من يدها سوى بكاء صغيرتها التي فزعت على صوت شقيقتها.

باليوم التالي استغلت الأم غياب زوجها وابنها عن المنزل، واصطحبت ابنتها إلى إحدى العيادات النسائية الخاصة، وطبعًا اختارت أبعد مكان عن منزلها لتبتعد عن كل من تعرفه، حتى وأنها استبعدت اللجوء لطبيبتها الخاصة في موقفٍ كهذا، خوفًا مما سيحدث بعد ذلك..

دلفت الأم بحالةٍ مزرية وهي تضع الكثير من الأموال أعلى الطاولة أمام تلك المساعدة، لتسبق البقية في الدخول، ولم تمهلها الفرصة حتى لتسجيل بياناتها واكتفت بتسجيل اسمها كمريضة حديثة بالعيادة، ومن ثم دلفت إلى الطبيبة وهي في أشد حالات غضبها، جلست الأم على الكرسي المقابل للطبيبة، فانهمرت بالبكاء.. قامت الطبيبة وهي تحاول تهدئتها بعد أن سألتها عن سبب زيارتها ولم

تجب، فأخذت الرضيعة من على ذراعيها وأبعدتها عن الأم لتطمئن وتهدأ قليلًا، ثم قامت بطرح الأسئلة لتعلم سبب بكائها، وتستفسر عما يؤلمها..

هزت الأم رأسها بالرفض وأردفت بتلعثمٍ:

ـ أنا لستُ مريضة...

وأشارت إلى ابنتها وأكملت:

ـ قام أحدهم بالاعتداء عليها.

جحظت عينا الطبيبة، وأسرعت إلى الطفلة وضمتها إلى صدرها بقوة وهي تذرف الدمع من عينيها على حال تلك البريئة، ومن ثم أبعدتها قليلًا وهي تحدق بها، وبالأثار التي تظهر على وجهها وذراعيها، قائلة:

ـ هو من فعل بكِ هذا!؟

أدارت الطفلة رأسها تجاه والدتها، وزاد نحيبها واكتفت بالصمت... تعلم الطبيبة جيدًا حال الطفلة وما تشعر به الآن، فضمتها أكثر وعاودت سؤالها مرة أخرى في هدوء، محاولة استرسال الطفلة لتسرد عليها ما حدث، ولكنها لا تجيب..

ـ أنا من فعلت بها.

قالتها الأم بنبرةٍ صارمة واستكملت:

ـ هيا الآن قومي بفحصها لأطمئن عليها.

صرخت الطبيبة بوجهها، ولم تتمالك أعصابها عند سماع ما قالته الأم، قائلة بعتاب:

ـ لما!؟ ألم تضعي حالتها النفسية باعتبارك؟

ـ كل ما يهم هو سلامة بكارتها الآن.

ـ وما ذنبها لتتلقى كل هذا؟ وتعاقب على شيءٍ حدث رغمًا عنها!؟

قامت الأم من جلستها كالثور الهائج، وأمسكت بطفلتها بقوة، ومن ثم وضعتها

أعلى الفراش المخصص للكشف، وأردفت:

ـ هيا قومي بعملكِ الذي تتقاضين ثمنه، ودعكِ من المحاضرات التي تلقينها علي.

كادت الطبيبة أن تنفجر بوجهها وتلقي بها خارج غرفة الكشف، ولكنها امتنعت من أجل المسكينة التي لم تكف عن بكائها منذُ قدومها، اقتربت من الفتاة تهيئها للكشف وتحاول استرخاء عضلاتها، بينما تواسيها ببضع كلماتٍ محاولة تهدئتها، ولكن هيهات.. فماذا تفعل تلك الكلمات بقلبٍ احتفظ داخله بجمرةٍ من نار تشتعل بجسدها.. وبعد بضع دقائق مرت كالدهر على قلب الأم، قالت الطبيبة:

ـ اطمئني، ابنتكِ سليمة تمامًا، لم يقترب من بكارتها أحد، والآن زاد اطمئنانك على جسدها.. أتمنى أن تطمئني على نفسيتها بعد ما حدث لها.

وقفت الأم وهي تحمل الرضيعة وأجابتها:

ـ هذا لا يهم، لن يرى نفسيتها أحد غيرها، ولكن ما أريد الاطمئنان عليه هو الأهم الآن، فهو مستقبلها وهذا ما ينظر الناس له بالفتيات، وإن ضاع ضاعت حياتها وحياتنا معها.

****

السبت الثاني من أكتوبر ٢٠٢١..
الثانية ظهرًا..

أتت "ليلى" ممسكة بيدها علبة شوكولاتة صغيرة من نوعٍ فريد، وضعتها على الطاولة أمام "لوسيندا"، وأردفت بخفوت وجذل:

ـ أعتذر عن التأخير أميرتي الفاتنة لوسيندا.

تركت "لوسيندا" الكتاب من يدها وهي فاغرة فاها بعد ما رأت العلبة التي أمامها، وصاحت كالأطفال بفرحٍ وبنبرةٍ تصحبها البهجة:

ـ كيف حصلتِ عليها يا ليلى؟ إنها جميلة جدًا.

قامت "لوسيندا" باحتضان صديقتها وهي تقول:

ـ لقد بحثت عنها كثيرًا، ولم أجدها.

ثم وكأنها تذكرت، أبعدتها عنها قليلًا متسائلة:

ـ ألهذا السبب تأخرتِ عن ميعادنا!؟

ابتسمت لها رفيقتها وهي تنظر لها بنظرة يملؤها الحب، وأومأت رأسها بالإيجاب، فارتمت "لوسيندا" بين ذراعيها مرة أخرى.. فتنفست "ليلى" الصعداء، وضمت "لوسيندا" بشدة وهي تربت على ظهرها بحب.. ثم جلستا سويًا تحتسيان قهوتهما، وهما تتناقشان فيما يخص زواج "ليلى"، حتى أردفت "ليلى" عن قصد:

ـ أريدك أن توافقي على العريس اليوم، لنكون معًا سويًا في ليلة زفافٍ واحدة.

تبدلت ملامح "لوسيندا"، وارتشفت آخر ما تبقى من فنجانها الخاص وهي تقول في اندهاشٍ متسائلة:

ـ كيف علمتِ بهذا الموضوع يا ليلى؟ أنا لم أعلم بالأمر سوى صباح اليوم، هل لكِ دخلٌ في هذا!؟

نظرت "ليلى" إلى اللاشيء محاولة الابتعاد عن نظرات صديقتها وهي تجيب بتلعثمٍ واضح، وبنبرةٍ مرتجفة قليلًا:

ـ أنا من أرسلته إلى والدتكِ يا لوسيندا، فهو شقيق زوجة أخي الكبير.

وقبل أن تجيب "لوسيندا" بشيء، استكملت "ليلى" حديثها قائلة في محاولةٍ لتخفيف ما تشعر به "لوسيندا" الآن:

ـ أنا سأكون معكِ اليوم حبيبتي، لن أتركِ وحدك، أعطي لنفسك فرصة أخيرة يا لوسيندا، أرجوكِ أن تفعلي.

شعرت "لوسيندا" كمن أصيبت بصدمةٍ غريبة جعلتها تصمت طويلًا... وتشرد كثيرًا، وكأنها في عالمٍ موازٍ، تنظر إلى "ليلى" وهي تتحدث ولا تسمع منها شيء، فقط

ترى شفتين صغيرتين تتحركان، وعينين يملأهما الدمع تتوسلان إليها، ويدٍ رقيقة ممسكةً بيدها في محاولة اطمئنان، وملامح تنكمش تارة وتنبسط تارة أخرى، لم تردف "لوسيندا" بحرفٍ واحد، فقط فتاة صامتة بملامح جامدة، وكأنها تمثالٌ حديث التحنيط، يبدو وكأنها تعيد ذكريات مضت، تعيش "لوسيندا" الآن في الماضي، تتذكر شيئًا وتشاهده يمر أمام عينيها، أو أنها ترسم شيئًا آخر على لوحةٍ بيضاء، شيءٌ سيحدث ببطءٍ شديد في يومها هذا، تجمع مشاهد روتينية، مهما طال عليها الزمن لن تموت، تكتب وتخرج وتصور مشاهد ستعيش داخلها، لن يشعر بها غيرها، تكتب بدايتها وتضع نهايتها أيضًا دون أن يحرك لها ساكنًا...

لم تنتبه "لوسيندا" لما يدور حولها الآن، ترى وجهها بمرآةٍ محطمة، يسيل من عينيها دمٌ بدلًا من دموعها، وجهٌ تملؤه الندوب، ملامح لامرأةٍ محطمة تمامًا، ليس بها روح حتى لتظهر وكأنها جثة متحركة، توفيت من قبل عدة مرات، وفي كل مرة تموت بطريقةٍ مختلفة، يختل توازنها، تشعر بالدوار، ترى ضبابًا حول تلك المرآة، يتزايد السواد خلفها حتى اختفت تمامًا.

****

السبت الثاني من أكتوبر ٢٠٢١..
الثامنة والنصف مساءً..

صوت رجلٍ يتلو القرآن في خشوعٍ مصحوبٍ بنحيبٍ خافت تهتز له القلوب المتحجرة فتلين، يصدح بالمكان، تكبيرٌ من صوتٍ أنثوي تصحبه تمتمة بالدعاء أثناء صلاتها، جسدٌ ممتدٌ على الفراش يتوسط غرفة واسعة بمشفى خاص، همهمات لبعض الأناس داخل الغرفة، لم يكن صوتهم مسموعًا بقدرٍ كافٍ، هو دليل فقط على وجود الكثير من حولها، منتظرين منها أن تفيق، يتحرك جفناها بثقلٍ شديد، ينزل من عينيها الدمع رغمًا عنها، شفتان جافتان تحاولان النطق بصعوبةٍ بالغة، هذا ما تعيشه "لوسيندا" الآن.

****

مارس ٢٠٠٧..

بإحدى المدارس المشتركة، وفي حصة الأنشطة الرياضية، تتجمع بعض الفتيات حول بعضهن لتشكيل فريق، وبالجانب الآخر يجتمع عددٌ من الفتيان ليتكون الفريق الخصم للفريق الأول، يتوسطهم الكابتن "صالح" المسؤول عن تلك الرياضة بالمدرسة، يعلن بصفارته بدء المباراة.. لتجري إحدى الفتيات والتي تبدو أنها القائدة لفريقها أمام قائد الفريق الآخر، لتحصل على الكرة الخاصة بتلك اللعبة وتسرع نحو الباسكت لتسجل هدفًا، مما أثار غضب زميلها وأثار حفيظته، خاصة أنها ليست المرة الأولى التي تنجح فيها تلك الطفلة الصغيرة ذات الجمال الباهر والجاذبية العالية التي يلتفت لها الآخر رغمًا عنه، والتي تصغره بعامٍ دراسيٍ كامل في اختطاف الكرة منه وإحراز الأهداف، أتت "لولي" مهللة بين زميلاتها وهن يصفقن، ويهتفن باسمها مشجعات، تترقبها عن بعد أعين بنظرةٍ ضيقة حادة، وكأنها تنتظر شيئًا ما، عاد الكابتن "صالح" مع جميع فتيات وفتيان الفريقين بعد انتهاء حصتهم وفوز فريق الفتيات كعادته، ذهب الجميع لتغيير ملابسهم بالغرفة المخصصة لهم، كانت "لولي" تتوسط ثلاث فتيات وهي تتحدث بفخر عما فعلن، انتهت "لولي" من تغيير ملابسها قبل الجميع، وذهبت لتجمع أغراضها، ولكنها لم تجدها بالمكان الذي تركتها فيه، تسمرت لحظاتٍ قليلة وهي تلتف بنظراتها حول المكان، حتى ارتفع حاجباها وهي تراها بيد الزميل الخاسر، والذي تسلل لغرفة الفتيات خلسة.. خصيصًا لمضايقتها والثأر منها، مواجهًا إياها بنظراته القاسية.. فدار بينهما حديثٌ صارم يملأه التحدي، ضحكت "لولي" عاليًا وهي تسخر منه قائلة:

ـ لابد وأنك اعتدت الخسارة أمامي، ليس بحدثٍ غريبٍ عنك لتغضب هكذا يا مروان.

ومن ثم أخذت منه حقيبتها عنوة ورحلت بعيدًا عنه، لتصطدم بأحد المعلمين وهي تجري نحو المبنى الدراسي، اعتذرت له وقبل أن تخطو الخطوة الثانية، كان ممسكًا بيدها قائلًا:

ـ فلتنتبهي بعد ذلك يا لولي، أم أن فوزك اليوم لم يترك لك الفرصة للنظر أمامك.

ابتسمت له الطفلة "لولي"، وقالت بثقةٍ عالية:

ـ ليس بحدثٍ جديدٍ عليّ لكي أفعل أستاذي.

اقترب منها أكثر وهو يمدح فيها بحرارة، وقبل أن ينهي حديثه طلب منها إحضار شيئًا خاصًا به من مكتبه في أعلى المبنى قبل رحيلها، فذهبت لتلبي طلبه مسرعة كي تلحق بدرسها القادم، وقبل أن تخرج من مكتبه كان خلفها يتأملها بنظراته الثاقبة، مدت يدها بما طلبه وهي تلهث، ربت على ظهرها قائلًا:

ـ اهدئي يا صغيرتي، فلقد تعبتِ كثيرًا اليوم.

وقدم لها كوبًا من الماء كان موضوعًا أعلى المكتب الخاص به، شكرته "لولي" كثيرًا وهي تهز رأسها بالرفض، وذهبت إلى باب المكتب لتفتحه فأوقفها المعلم وهو يأخذها بين ذراعيه ليضمها، كانت تبتعد عنه وتتذمر، ولكن كيف لتلك الضعيفة أن تسيطر على ذلك الوحش أمامها، زادت صرخاتها وهي تستغيث، وسرعان ما أطبق يده علي فمها وبيده الأخرى كان يتلذذ بلمس جسدها من الداخل، لم تستسلم له الطفلة المسكينة، فقبضت بأسنانها الحادة على يده، تحول لون عينيها البندقي إلى الاحمرار، كما تلونت بشرتها أيضًا، وكأن الدم انفجر غضبًا فشق عروقها للدفاع عن جسدها، فتخضب جسدها بلونه، لم يستطع ذلك المعلم الفاسد الصمود أكثر، فتركها من بين يديه وهو يسبها، وتحول المعلم الفاضل إلى وحشٍ قاسٍ، يدمر كل ما هو أمامه، علت نبرته عليها في تهديدٍ وصرامة، إن علم أحد بما حدث سيؤذيها، وصوب أمام عينيها آلةً حادة صغيرة، كان يحملها بجيب بنطاله، فارتجفت "لولي" في ذعرٍ شديد، ولم تستطع استجماع شجاعتها لتتنفس، وأخذت تلهث كثيرًا أمامه وهو يأمرها بما تفعل في صمت، تذكرت "لولي" الرجل الذي قام بنفس تهديده هذا منذُ بضعة أشهر، عندما لمس أعضاءها، أثناء شرائها للحلوى التي تعتاد أكلها بصفة دائمة، فامتزجت أمامها صورة البائع والمعلم معًا.. وكأنها تراهما بصورةٍ واحدة، فازداد ارتجافها، وتكرر هذا الموقف بطرقٍ أخرى من قِبَل نفس المعلم،

مرة بنظراته الخبيثة، وأخرى بلمساته المختلسة لها، لم تتحمل "لولي" كثيرًا، فزاد غيابها عن المدرسة بأكثر من حجة، حتى شعرت والدتها بهذا، وأنه ليس لمرضها فقط، لكن لم يرق ذهنها لأكثر من أن حيل الصغار كثيرة للتغيب، فأجبرتها على الحضور حتى وهي تراها في حالتها التي يُرثى لها، ولم تعد تصدق ابنتها في شيء، ظنًا منها أن أعذارها كاذبة، بينما لم تقو "لوسيندا" على التفوه ببنت شفة خوفًا من العقاب، فهي لم تنس ما فعلته بها أمها من قبل، فأصبحت الطفلة في عزلةٍ وانطوائية شديدة، وحزنٍ يكسو ملامحها بعد أن كانت متوهجة.. مرحة، تتميز دومًا بين الجميع بحديثها اللبق وتفوقها في مجال الأنشطة الرياضية، أو أفعالها التي تجذب لها الأنظار بالإعجاب من قِبَل الصغير والكبير، كانت كالشعلة المنطلقة في كل مكان تتواجد فيه، والآن أصبحت تخشى التجمعات، ينتابها حزنٌ بالغٌ إن انفردت بشخصٍ بشكلٍ غير مقصود، حتى مستوى دراستها لم يستمر بالتفوق المعتاد، خاصة بعد ما حدث لها، أصبحت على صغر سنها تري الجميع كالثعالب، لم تعد تثق بأحد، تقضي أغلب أوقات دراستها بمكتبة المدرسة، تتفحص أي كتابٍ أمامها لتقرأ فيه حتى ينتهي وقت الراحة.

صارت (لولي) تعيش بين أروقة الكتب، رسمت عالمًا خاصًا بها وحدها، لم تأنس بأحدٍ بعد، ولا تريد أن يقترب منها أحد، وذات يوم بينما هي داخل مكتبة المدرسة، وأثناء قراءتها لأحد الكتب، اخترقت مسامعها آياتٍ قرآنية تخرج من مذياعٍ صغير أعلى الطاولة الخاصة بأمينة المكتبة.

لم تفهم ما تعنيه الآيات كثيرًا، ولكنها ذهبت إلى أمينة المكتبة تسألها عن اسم السورة التي تُتلى الآن..

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ {الأحزاب: ٥٣}.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ {الأحزاب: ٥٩}.

فأخبرتها اسم السورة، لكنها لم ترغب بشرح المزيد ظنًا منها أن الطفلة أصغر من أن تتفهم معنى الآيات، ظلت الطفلة "لولي" تردد الآيتين في عقلها كثيرًا، ودخلت في حالة من الشرود، وبعد أن انتهى اليوم الدراسي ذهبت "لولي" إلى منزلها تبحث عن والدتها لتخبرها بالآيات قبل أن تنسى، ظلت الأم تتذكر وتبحث بالمصحف عن تلك الآيات وهي تردد:

ـ أعلم الآيات لكني لا أتذكر أرقامها تحديدًا.

فسألتها ابنتها عن معناها إذن، لتجيب الأم:

ـ انتظري عندما يعود والدك، ونسأله إذن، فأبوكِ حافظٌ للقرآن وعلى درايةٍ بتفسيره أكثر مني.

وبالفعل أتى الوالد ولم تستطع "لولي" الانتظار.. فهرولت نحوه عندما شعرت به عند وصوله، وقامت بسؤاله عن تلك الآيات، ليجيب والدها مسرعًا:

ـ إنها سورة الأحزاب يا صغيرتي، ولكن لماذا تسألين عنها؟

أجابته الطفلة في تردد:

ـ أشعر وكأنها لي يا أبي.

اقترب منها والدها وقَبَّل جبينها، وهو يردف قائلًا:

ـ حسنًا، وجبة الغداء أولًا، ثم نقوم بعد ذلك بنقاش تلك الرسالة حبيبتي.

وبعد انتهائهم من وجبة الغداء، هرولت الطفلة الصغيرة إلى المكتبة المجاورة بغرفة الجلوس لإحضار المصحف، وهي تمد يدها لوالدها، وتقول بعجالة:

ـ هيا يا أبي اقرأ لي السورة، وبعد ذلك اشرحها لي على مهل.

ابتسم لها والدها، وهو يأخذ منها المصحف ويلبي طلب ابنته، فبدأ في ترتيل الآيات، فشعرت الطفلة بارتجافة قلبها وهي تستمع له، وطلبت منه إعادة الآيتين اللتين تقصدهما مرة أخرى، ونفذ ذلك بكل أريحية، حتى رأى دموع ابنته تسيل

على وجنتيها بحرارة، بينما مال لون عينيها للاحمرار، ترك والدها المصحف من يده وأخذ ابنته بين ذراعيه بحنانٍ وقوة، زاد نحيب الطفلة في أحضان والدها، وهو لا يعلم لماذا تبكي ابنته هكذا، فلا يهمه السبب الآن، بل كان كل ما يهمه هو اطمئنان قلب طفلته بين ذراعيه لتهدأ، ومن بعد ذلك سيكون كل شيء على ما يرام.. ظلت هكذا كثيرًا وطلبت منه أن يشرح مقصود الآيات، فاستكمل حديثه وهو قابضًا بذراعيه على ابنته محتضنًا إياها، وبعد أن أنهى حديثه، أردفت طفلته بنبرةٍ حازمة تمتزج بثقة في قرارها:

ـ أبي، سأرتدي الحجاب غدًا.

فغر الأب فاه لطلب ابنته وهو غير مصدق بأن طفلته ذات التسع سنوات هي من تطلب هذا، سكت الأب قليلًا وهو ينظر باتجاهٍ معاكس لابنته، وهي تراقبه بعناية شديدة تنتظر منه الموافقة على طلبها هذا دون الخوض في تفاصيلٍ أكثر، فهي على قدرٍ كافٍ من المعرفة باستحالة شرح أسباب هذا الطلب لوالدها، ومن داخلها تريد أن تبوح بكل ما يضيق به صدرها لتزيل عن كاهلها تلك الوصمة، وتترك لوالدها حل ما يصعب عليها التصرف فيه، ولكنها تخشى ردة فعله، أو بالأحرى هي تكره أن ترى والدها في حالة حزن أو مرض، وما يكمن داخلها كافٍ لانهياره تمامًا، فاكتفت بالصمت والانعزال والحرص الشديد في معاملة الآخرين، مرت لحظات قليلة والطفلة تنتظر رد والدها وكأنها نصف عامٍ كامل، نظر لها الأب بوجه لا تعبير له، أو هي من يصعب عليها استشفاف ما وراء تلك النظرات لها، وقبل أن تتصبب عرقًا من خوف سؤال والدها عن السبب قال بنبرةٍ جدية تعلمها جيدًا:

ـ أتعلمين إن كنتِ مقتنعة بما تقولينه، أم أنه حب التجارب لأشياءٍ جديدة وسيزول بعد ذلك!؟

أردفت الطفلة في عدم استيعاب كامل لسؤال والدها، فزاد شرحه لما يقصد، هزت رأسها بإيماءة الفهم لقوله، وأجابت بثقة:

ـ أعلم جيدًا يا أبي ما أطلبه، وما يجب علي الالتزام به عند ارتدائي للحجاب،

أعلم بقدرٍ كافٍ بعد تفسيرك لتلك السورة عن مدى الجمال الذي وضعنا فيه الله سبحانه وتعالى، وأنا لا أنوي سوى الالتزام والحفاظ على هذا الجمال، لا أريد أن أغضب ربي مني، ولا أن أشوه تلك الصورة التي وضعنا فيها، سأعمل جاهدة على كمال هذا الجمال، صدقًا أبي، ثق بي.

أنهت الطفلة حديثها وهي تبكي في صمت، لم يحزن الأب على طلب ابنته بل كان فخورا بها جدًا، ولكن كل ما يقلقه هي تلك الدموع التي أصبحت تلازمها أغلب الوقت دون سبب، لم يرد أن يحزنها برفضه لارتدائها الحجاب بهذا السن، وهي التي لم تحي طفولتها بعد، فهو يرى أن هناك المزيد من مرح الأطفال يجب وأن تمر به ابنته في هذا السن، وما يخترق قلبه الآن هو أن ابنته وضعت نفسها في مكانٍ أكبر من عمرها بكثير، والتزمت تكليف لم يحن أوانه بعد، ويخشى عليها الاستسلام لما يمكن أن يحدث بعد ذلك في مستقبلها، وما ستتعرض له من آراء الآخرين مما يجعلها قد تتراجع عن قرارها بوقتٍ هو نفسه لا يقبل بأن يحدث هذا فيه، لم يطل الحديث بعد سماع ما قالته طفلته فقط، قام باحتضانها مرةً أخرى وهو يقول:

ـ متي تريد صغيرتي الذهاب لشراء الحجاب وما يلزمه من ملابس إذن؟

أسرعت الصغيرة في ردها وهي تبلغ والدها، بأن غدًا العطلة الرسمية الأسبوعية، وهو موعدٌ مناسبٌ جدًا لشراء ما تحتاجه لحياتها الجديدة.

****

ذهبت (لولي) إلى غرفتها وهي تتمتم بكلماتٍ غير مفهومة، ولكنها مرضية لها تقريبًا، هذا ما تقوله الابتسامة التي ارتسمت على ثغرها الآن.

خرجت الأم من غرفتها بملامحٍ جامدة كالثلج، وبنبرةٍ غاضبة توجهها لزوجها على ما دار بينه وبين ابنته، وهي تعاتبه كيف يوافقها على هذا القرار، وكيف يأمرها بعدم حضور جلسته مع ابنته، فهذا وحده زاد من غضبها كثيرًا، لم يجب الأب سوى بجملةٍ واحدة:

ـ ابنتك بها شيءٌ غير مفهوم، أسلوبك هذا لن يفلح معها، خاصة في الحالة التي

أصبحت عليها الآن.

وتركها ورحل ليؤدي فريضته، وأردف قائلًا وهو ينسحب خارج غرفة الجلوس:

ـ قومي هيا للوضوء، وادعي لابنتك بالهداية أفضل.

لم تستمع له وقامت مسرعة إلى غرفة ابنتها وهي توجه لها كلماتها الصارمة:

ـ أخبريني هيا عن السبب الذي جعلك تأخذين قرارِكِ هذا دون أن تخبريني عنه سابقًا، وفضلتِ الحديث فيه مع والدكِ دون علمي!؟

ارتجفت "لولي" لمباغتة والدتها لها هكذا، وتلعثمت بالقول:

ـ ليس هناك سببٌ محدد لقراري، فضلت فقط الالتزام والحفاظ على هيئتي.

لم تقتنع الأم لإجابة ابنتها، وهي من تسبقها كثيرًا في أداء فروضها يوميًا، فكيف لها أن تنقلب هكذا بين يومٍ وليلة لتطلب أن تكون طفلة محجبة في التاسعة من عمرها.. كادت أن تقول شيئًا، لكن صوت زوجها أنقذ ابنتها من المشادة التي كانت ستحدث بينهما الآن.. وما خافت أن يحدث مع والدها، يحدث الآن.. وكيف ستجيب على والدتها أو حتى تقوم بإقناعها بما عزمت على فعله!

تحسست الندبة التي على يدها في حزنٍ وقالت بصوتٍ مسموعٍ لها:

ـ لن أعيد ذلك معكِ مرةً أخرى، لن أتفوه بشيءٍ يجعلكِ تتمنين الموت لي كي ترتاحي مني، وليس ببعيد أن تقومي أنتِ بذلك دون أن تدري.

****

الفصل الرابع

الأحد الثالث من أكتوبر ٢٠٢١..
العاشرة صباحًا..

قام الطبيب بفحص "لوسيندا"، ومن ثم طمأن والديها على حالتها وأعطى إذنًا للمساعدة الخاصة به بإحضار الطبيبة "أميرة عز الدين" لتقوم بفحص حالتها، فأومأت رأسها بالإيجاب وانصرفت، قام والدها من جلسته وهو يقترب منها، ويوجه حديثه للطبيب قائلًا:

ـ كيف تخبرني بأنها بخير وهي حتى الآن لم تفتح عينيها بعد!؟

ربت الطبيب على كتفه وقال مبتسمًا له:

ـ لا تقلق على ابنتك يا رجل، هي بخير ولا تشكو من أي شيءٍ عضوي، جسدها بالكامل سليم والحمد لله، مما يعني أنها تعاني ضغطًا نفسيًا شديدًا فاق طاقتها على التحمل، ولذلك أمرت باستدعاء الطبيبة "أميرة" لتتولى مهمة علاجها.

انصرف الطبيب وترك الحاج "كرم" يغرق في حزنه على حال ابنته الكبرى ذات الوجه المضيء، أول من رأت عيناه..

دلفت "ليلى" إلى غرفة "لوسيندا" بالمشفى وهي تسأل والدتها عن حالتها الآن... لتقاطعها الأم وهي تعيد نفس السؤال ذاته:

ـ ما الذي حدث بينكما بالأمس لتصبح ابنتي بهذا الحال!؟

وكأنها لم تصدق "ليلى" في حرفٍ مما قالته، ثم أردفت:

ـ هل علمت ابنتي أنني من أحضرت علبة الشوكولاتة؟

فطمأنتها "ليلى" قائلة:

ـ لا يا خالتي، لم أخبرها بكل تأكيد كما أمرتِ، ولكن يجب أن تعلم كي ترى مدى حبكِ لها، أنا لا أفهم موقفكِ حتى الآن!

لتجيبها "ماجدة":

ـ لا يهم أن تعلم هي، يكفي أنني أنا من أتعذب بحبي وخوفي عليها...

وقبل أن تستكمل حديثها دلفت الطبيبة "أميرة عز الدين" إلى الغرفة، فأمروا الجميع بالخروج منها، امتنع الوالد بادئ الأمر، لكنه فعل بالأخير بعد رجاء.. لم يمر الكثير من الوقت حتى قامت باستضافة والدي "لوسيندا" بمكتبها الخاص لمناقشة الحالة بشكلٍ أوضح، وطرح بعض الأسئلة الخاصة، بالطبع لم تسلم "ليلى" من هذه الجلسة كونها كانت الشخص الأقرب وقت سقوط "لوسيندا"، وبعد أن جمعت بعض المعلومات الهامة عن الحالة.. شكرتهم واكتفت بقراءة ما دونته أمامها عدة مرات.

ومنذ ذلك الحين لم تفارق "أميرة" "لوسيندا" طيلة إقامتها بالمشفى يومًا واحدًا، خضعت "لوسيندا" لجلساتٍ علاجية مكثفة، مرت أيام دون تقدم ملحوظ، حتى اليوم الذي قامت فيه "أميرة" باصطحاب "لوسيندا" خارج غرفتها وأخذتا تتحدثان في عدة موضوعاتٍ مختلفة، كانت "لوسيندا" قد علمت أن الطبيبة "أميرة" هي المسؤولة عن حالتها، لم تجبرها على الحديث، لكنها قدمت لـ "لوسيندا" الاطمئنان الذي أشعرها بصداقتها أكثر من كونها طبيبة، مما جعلها تفكر جيدًا بالبوح بما يطبق على صدرها، وبالأخص كونها تريد إزالة الجليد بينها وبين والدتها، وبينما هما تتحدثان.. أخبرت "أميرة" أنها تريدها في أمرٍ خاصٍ للغاية، تريدها كطبيبة لا مجرد صديقة تحادثها، فهي أكثر شخص الآن سيقوم بتوجيهها، وأكثر من يقدر على فهمها وفهم سبب ما حدث ويحدث لها دون اللجوء للكثير من التبرير.

وافقت "أميرة" على الفور دون تفكير، وقد أتتها الفرصة لبدء معرفة ما تخبئه "لوسيندا" وترفض البوح به حتى لأقرب الأقربين، راحت "لوسيندا" تحكي لـ "أميرة" عن قسوة والدتها وصرامتها، حكت لها العديد من الخفايا علها تجد جسرًا تعبر

به إلى ذلك القلب الصخري فتفك شفرته ويبيت التعامل معه أسهل، استمعت لها "أميرة" بتركيزٍ تام رغم علمها أن ما تخبرها به "لوسيندا" هو جزء من الحقيقة لا الحقيقة كلها، ورغم ذلك لم تحاول مراوغة "لوسيندا" لاستخراج أي معلومة ولو صغيرة رغمًا عنها، كانت تعلم بحكم خبرتها أن "لوسيندا" لن تنتظر طويلًا قبل البوح بسرها الأعظم، ووفقًا لما ارتأته من تحسن، قررت خروج "لوسيندا" من المشفى على أن تستمر جلسات العلاج بشكلٍ خاص يناسب "لوسيندا"، لذا اتفقتا على أن يكون موعدهما القادم بمكانٍ تختاره "لوسيندا" ذاتها، وأتى الموعد المنتظر، كان بأحد المطاعم الفاخرة التي تطل على البحر، وهو أقرب الأماكن التي تلجأ لها "لوسيندا".

بدأت "أميرة" في سرد موضوعٍ ما خاصٍ بها، وكأنها تحاول تهدئة "لوسيندا" لتزيل عنها الحرج، بالطبع كان الموضوع لا أساس له، ولكنها محاولة ناجحة من "أميرة" لدفع الاستقرار رويدًا رويدًا يغزو روح "لوسيندا" فتهدأ، وتجد الأريحية التامة لتحكي ما تخفيه دون تردد، وما حدث كان عكس توقعها تمامًا، فلم تحك "لوسيندا" الحقيقة كاملة واكتفت بحكايتها مع "زين الدين"، ووفقًا لما أخبرتها به اقتنعت "أميرة" أن صدمتها في حبها الأول هي سبب رفضها الزواج من شخصٍ آخر.

قامت "أميرة" بسؤالها عما حدث في مقابلتهما الأخيرة، وهو الموعد المتفق عليه في حرم الجامعة.

توترت "لوسيندا" من سؤالها وما تذكرته حينها، فأجابت بتلعثم:

ـ بعد أن اتفقنا على الموعد، وقبل أن يرحل يوم خطبة شقيقته، وضع قبلة خلسة على وجنتي مما زاد حرجي، وبعد أن عزمت على الخروج للجلوس معهم، فضلت أن أبقى على حالي في شرفة المنزل، وكأني إذا خرجت بينهم سيرون شفتيه ملتصقة بوجنتي.

لم تتمالك "أميرة" السيطرة على ضحكاتها مما تفوهت به "لوسيندا"، مما أغضب

"لوسيندا" كثيرًا، وتذكرت والدتها وكأنها هي من تجلس أمامها الآن، تسمع صوت والدتها، ترى ملامحها بوجهها، مما أثار حفيظتها.. فقامت من جلستها بعصبيةٍ دون أن تقول شيء، لكن "أميرة" لم تتركها ترحل، أسرعت في تفسير سبب ضحكاتها وأبدلت الأدوار، وسردت نفس ما حدث لـ "لوسيندا"، وأكملت بأحداثٍ خياليه لتزيـح عنها الحرج وتجعلها تستكمل ما حدث لها أيضًا، اندهشت "لوسيندا" مما تسمعه وزاد فضولها، فتحولت هي إلى طبيبة وقامت بطرح الأسئلة على "أميرة"، أعجبتها جرأة "أميرة" في الحديث، وأنها لا ترى الأمر كوصمةِ عار إن حدث لفتاةٍ مثلها، هي لم تكن سببًا لتتحمل عواقب ما يحدث وتخشى أن يعلم أحد، نجحت خطة "أميرة" في دفع "لوسيندا" للاسترسال في الحديث، مما جعلها تحكي أكثر وأكثر، حتى ذلك اليوم الذي كان كالقشة التي قصمت ظهر البعير كما يقال، فبرغم ما حدث لها وما تعرضت له بمراحل حياتها المختلفة كان هناك أمل تعيش من أجله رغم أنها تخشاه، ولكنها عزمت على أن تواجه مخاوفها حتى جاء هو وأفقدها إياه...

فكيف لها أن تعيش بعد أن أيقنت أن الأمان الذي كانت تحاول إقناع نفسها بالتمسك به، أتى لها على هيئة سكينٍ غُرز داخل قلبها وقضى على حياتها هكذا!

بكت كثيرًا وهي تحكي لها ما قام به "زين" معها في ذلك اليوم الموعود، حتى قامت "أميرة" وهي تقترب منها.. وضمتها إلى صدرها لتهدأ.

❊❊❊❊

أمام إحدى الشركات الخاصة بمدينة (القاهرة)، وقفت سيارة ليخرج منها رجلٌ مرتدٍ حُلةً رمادية اللون، وهو ينظر خلفه في فخرٍ شديد، رافعًا حاجبيه موجهًا حديثه لرجلٍ آخر يخرج من سيارته قائلًا بثقةٍ عالية:

ـ لا تتحدى "مروان رشدي" في شيءٍ بعد ذلك يا صديقي.

ضحك الآخر قائلًا وهو يقترب منه ويحك أنفه مبتسمًا:

ـ لن أستسلم.. وسترى، سأكون مثل الفتاة التي كنت تخسر أمامها دومًا، سأبحث

عنها لأعلم ماذا كانت تفعل لتتغلب عليك هكذا.

ضم "مروان" حاجبيه في ضيق، وهو يعلم أن صديقهُ يريد أن يذكره بها كي لا يتعالى عليه مرةً أخرى، ويتذكر أن خسارته دومًا كانت أمام فتاة.. هرب صديقه من أمامه ولم يقصد المصعد لكيلا ينال منه، وصعد على الدرج بخفةٍ وسرعة فائقتين، ليقول له "مروان" بنبرةٍ عالية تصل له:

ـ لن تفلت من بين يدي يا "زين"، وسترى ما أنوي فعله بك.

ضغط على زر المصعد في عصبيةٍ ولم يستجب، فعلم أن "زين" فتح أحد أبواب المصعد كي يزيد من غضبه، أطبق "مروان" على فكيه بعصبيةٍ وهو يتوعد له متجهًا إلى الدرج، دلف إلى مكتب "زين" في غضب.. وهو يبحث عنه ناقلًا ناظريه داخل المكتب فلم يجده، فضيق عينيه وهو ينظر إلى باب الحمام الخاص به، وأسرع إليه وفتحه مسرعًا ولكن "زين" لم يكن مختبئًا داخله، استشاط "مروان" منه غضبًا، واتجه إلى مكتبه فوجده يجلس على كرسيه موليًا له ظهره، اقترب منه بحذرٍ لكيلا يفلت منه ونفخ داخل يده مستعدًا لشجارٍ هائل معه، استدار الكرسي وهو يقرب كفه من رأس صديقه فكانت المفاجأة أن الجالس على الكرسي ليس هو المقصود، إنما صديقهم الثالث ابن صاحب الشركة.. "فارس"، فما كان منه إلا أن ضرب بيده أعلى المكتب.. فانفجر "فارس" ضاحكًا، حينها ظهر "زين" وهو يكتم ضحكته ويتصنع الجدية، ولكنه فشل في هذا عند رؤية "مروان"، الذي شاركهم الضحك ونسي فكرة الانتقام تمامًا ما دام اجتمع ثلاثتهم سويًا.

فتح باب المكتب رجلٌ أصلع، طويل، يرتدي نظارة طبية وتتناثر في ذقنه السوداء شعيراتٌ بيضاء كحبات السكر، يمتلك قوامًا رياضيًا رغم كبر سنه، لم يتفوه بكلمةٍ واحدة، رغم ذلك ارتبك الثلاثي المرح عند رؤيته ووقف ثلاثتهم بجانب بعضهم البعض.

اكتفي "فريد" بنظراته، وأشار لهم أن يلحقوا به ثم انصرف وتركهم يحدقون ببعض في ذُعرٍ واضح منه، دلف ثلاثتهم إلى مكتب "فريد" بخطواتٍ بطيئة إلا "فارس"،

فقد تقدم قرب المكتب بثقة وجلس أمام والده مبتسمًا، نظر له "فريد" دون تعبير، وأشار له أن يقف بجانب "مروان" و"زين"، فقام وهو يحك أنفه ويعدل موضع نظارته الطبية ليقف بينهما، وضع "فريد" بعض الملفات أعلى مكتبه وتقدم نحوهم واضعًا يديه خلف ظهره، قائلًا بصوتٍ رخيم:

ـ عطلة هذا الأسبوع قد تم إلغاؤها...

وقبل أن يستكمل حديثه، قاطعه "فارس" قائلًا في اعتراضٍ وتذمرٍ من قرار والده:

ـ أبي، إنها ثالث عطلة يتم إلغاؤها هذا الشهر...

لم ينظر له "فريد" واستكمل:

ـ وإذا تفوه أحدكم بكلمةٍ أخرى ستُلغى باقي عطلاتكم الشهرية أيضًا، وللعلم أنا هنا لست والد أحد أو عم أحد.. أنا هنا "فريد المرشدي" فقط، وإن لم يتم الالتزام بما أقول، أنتم من سيندم ولست أنا.

قدم لكل منهم ملفًا كان بيده وهو يأمرهم بإنهاء هذا العمل اليوم، وأكد عليهم أن يتم تسليم الملفات له شخصيًا قبل المغادرة، حتى وإن كانوا سيحتاجون ساعاتٍ إضافية، ما يهمه اليوم هو إنجاز هذا العمل لا أكثر.

انصرفوا من أمامه بعد أن وافقوا على طلبه في ضيقٍ ملحوظ، بينما ابتسم "فريد" ابتسامة عريضة عقب انصرافهم، واتجه إلى مكتبه مرة أخرى، ومن ثم استدعى السكرتيرة الخاصة به، فدلفت إلى غرفة مكتبه فتاةٌ في أواخر العشرينات من عمرها، مرتدية فستانًا فضفاضًا من اللون الزيتي وحجابًا يليق به، تقدمت له فأردف قائلًا:

ـ اجلسي يا هالة، أريدكِ في موضوعٍ خارج عمل الشركة.

أطاعته هالة متسائلة:

ـ خيرًا يا عمي...

وقبل أن تستكمل حديثها قاطعها "فريد"، وقد جحظت عيناه قائلًا في دهشة:

ـ عمي! هنا؟ في شركتي!؟

انكمشت "هالة" من رد فعل "فريد"، وتلعثمت بالقول:

ـ حضرتك طلبتني في موضوع خارج الشركة، فهذا يعطيني الحق أن أقولها.. صحيح ! ؟

ضحك عاليًا من براءتها وأنها صدقت رد فعله، فأراحت ملامحها عند رؤيته هكذا، ووضعت يدها أعلى صدرها قائلة:

ـ سامحك الله يا عمي.. إنك تربيني أكثر من أبي والله.

سعل "فريد" إثر ضحكته بهذه الطريقة، وقال بجدية:

ـ أعلم ذلك، ولكني أريدك حقًا في أمرٍ خاص بـ فارس، أم أنك تناسيتِ هذا الموضوع بعد ما حدث.

أجابته "هالة" وهي تؤكد على حديثها:

ـ أنا على تواصل مع أسرة العروس كما أمرتني، ولكني لا أعلم أي يوم تنتوي زيارتك، الوضع أصبح على ما يرام الآن ويمكنك الزيارة في أي وقت.

حمد الله "فريد" على ما قالته "هالة" وأكد عليها الاتصال اليوم لتحديد موعد مناسب، فلا وقت للتأخير بعد ذلك، إنها فرصته الأخيرة.. أومأت رأسها له مردفة بأنها ستتولى هذا الموضوع اليوم، شكرها "فريد".. فانصرفت "هالة" في حيرةٍ من أمرها، ماذا ستفعل وكيف هي ذاتها من ستقوم بهذا بعد علمها بأمر "فارس"!؟

✻✻✻✻

الفصل الخامس

تجلس في شرفة غرفتها ليلًا، تستمع إلى الموسيقى الصادرة من هاتفها المحمول، تحدق بالسماء غير مكترثة بمن يراقبها منذُ بضع دقائق، حتى انقطع صوت الموسيقى.. فالتفتت لتجد رجلًا يحمل نفس ملامحها، ذا شعرٍ بنيٍ داكنٍ كثيف، يغطي نصف وجهه شاربٌ بلحيةٍ متوسطة الطول، حدقت به "لوسيندا" ومن ثم ارتمت بين أحضانه وهي تصرخ باسمه:

ـ لياااام!

ضمها إلى صدره بقوة، فتشبثت به وكأنها وجدت القشة التي ستنقذها من الغرق، فتمسكت به بقوةٍ أكبر، وشرعت في البكاء داخل أحضانه، فأردف "ليام":

ـ أنا هنا حبيبتي، اطمئني، لن أتركِ ثانية، ولو حدث فستكونين معي.

أبعدها قليلًا عنه ليرى وجهها وهو يتأمل جمالها الحزين، فارتمت بين ذراعيه مرةً أخرى قائلة له بصوتٍ أجهش بالبكاء:

ـ أنا أفتقدك كثيرًا.

وبينما هما كذلك كان هناك من تترقبهما بحاجبين مرفوعين ونظرات غيظ.. فانتبهت لها "لوسيندا" وأسرعت إليها وضمتها هي الأخرى بقوة، ولكنها لم تبك واكتفت بقول:

ـ اشتقت لشقاوتكِ يا عنيدة.

لتجيب الأخيرة:

ـ أعلم جيدًا أن هذا البيت كئيب من دوني.

لتضحك عليها "لوسيندا" وتعدل جملتها قائلة:

ـ أكثر هدوءًا إن شئنا الدقة.

فضحك ثلاثتهم حتى دلف الأب "كرم" مبتسمًا لرؤية أبنائه مجتمعين سويًا، فاقترب منهم واحتضنهم جميعًا، ومن ثم استدعاهم إلى العشاء، اجتمعت الأسرة على السفرة المملوءة بخيرات الله، فمن الواضح أن الأم كانت تعلم بقدوم أبنائها اليوم، مما دفع "لوسيندا" لسؤالها عن الأمر:

ـ كنتِ على علم بقدوم إخوتي اليوم؟

ـ نعم أعلم، ولكن "ليام" رفض إخبارك ليفاجئكِ هو بنفسه.

نظرت له "لوسيندا" بحبٍ واضح بعينيها وهي تردف بنبرةٍ هادئة:

ـ إنها أكثر مفاجأة حدثت لي منذُ غيابه.

لتعلق الأم على حديثها قائلة وهي تنظر إلي زوجها.. وموجهة حديثها إلى ابنتها:

ـ هناك مفاجأة أخرى بانتظارك في نهاية عطلة الأسبوع القادم.

فصرخت "لبنى" الأخت الصغرى وهي تمضغ طعامها:

ـ وأنا، وأنا... أكيد ستكون المفاجأة في انتظاري أيضًا، صحيح أمي؟

لتضحك الأم على قول ابنتها وتجيب نافية، وتقول:

ـ هي تخص شقيقتك فقط، ولكنها ستعم علينا بالخير والكثير من المفاجآت.

لتشك "لوسيندا" بحديث والدتها وتترك الملعقة من يدها مغمضة عينيها، تسأل بنفاد صبر:

ـ ماذا تقصدين يا أمي بحديثك هذا؟

لم تنظر لها والدتها واكتفت بقول:

ـ كما سمعتِ.

نظرت "لوسيندا" إلى والدها وهي تهز رأسها، ففهم ماذا تقصد، وأومأ رأسه بالإيجاب وبنظرة توسل، لتنظر لهم بعينيها اللتين امتلأتا بالدموع، وتركتهم مغادرة إلى غرفتها، لينظر "ليام" بدوره إلى والده غير مستوعب ما يحدث، فقالت والدته

بحدة نبرتها:

ـ هي هكذا كلما فتحنا لها موضوع الزواج، لن تتغير.. تغضب وترحل وتضعنا في حرجٍ مع من يأتي لخطبتها.

أشار "ليام" إلى أمه بأن تهدأ قليلًا، على وعدٍ بأنه سيقوم بالحديث معها ليعلم سبب رفضها مقابلتهم حتى.

قام "ليام" واستوقفته أمه راغبة أن يستكمل طعامه أولًا، ولكنه اعترض أن يأكل دون شقيقته، فأخذ بعض الأطباق وقبل أن يغادر أمسك والده ذراعه قائلًا:

ـ اذهب أنت للحديث معها، وأنا سأحضر لكما الأطباق وألحق بك بعد قليل.

تفهم "ليام" حديث والده، وترك ما بيده ودلف إلى غرفة شقيقته، ليجدها بشرفتها تتحدث مع نفسها وهي تبكي، اقترب أكثر.. فاخترقت أذنيه جُملتها:

-"لن أستطيع أن أكون زوجة لأحدٍ يا الله، فلا تجبرني".

وضع كلتا يديه على فمه وهو يتراجع إلى الوراء بخطواتٍ بطيئة.. حتى شعرت به "لوسيندا"، وتقدمت هي إليه لترتمي بين ذراعيه، فشرد قليلًا محاولًا طرد هاجسًا أتى برأسه، فابعدها عنه ليتأمل وجهها في خوف، وهو يردف لها متسائلًا:

ـ حبيبتي، ما بكِ!؟

تمسكت به أكثر دون أن تستطيع الإجابة عليه، فجذبها "ليام" إلى طرف فراشها وهو يربت على ظهرها لتهدأ، وكل ما قاله لها:

ـ أنا معك، ولن أجبركِ على شيء، ولكن لابد وأن تخبريني ما بكِ؟ ولما كل هذا؟

رفع رأسها بأطراف أنامله لتنظر له، وأكمل حديثه:

ـ هل هناك شخصٌ آخر تنتظرينه؟

ارتجف جسدها، وابتلعت ريقها في مرارة، ثم هزت رأسها بعصبيةٍ بالرفض وقالت:

ـ أنا لا أطيق وجود أحد يا أخي لأربط حياتي به.

وقفت فجأة وأدارت له ظهرها وهي تخطو ببطءٍ نحو شرفتها، وتنفست بحرارةٍ شديدة وكأنها تخرج من جوفها جمرة كادت أن تحرقها، ثم أردفت:

ـ لن تتفهم موقفي يا ليام..

اقترب منها وهو يضمها إلى صدره، ليزيد من اطمئنانها، وهو يقول دون أن يبعدها عنه:

ـ إن كانت فكرة الزواج تخيفك، فأحب أن أخبركِ بأن ما تفعلينه لن يعالج شيء.

ابتعدت عنه وهي لا تفهم مقصده، فاستكمل:

ـ صدقيني حبيبتي، الهروب لا يعالج شيء، بل يزيدكِ خوفًا، وبهذا أنتِ تضيعين عمركِ هباءً.. ضعي والديكِ نصب عينيكِ.. ما تفعلينه لا يريحك ولا يريحهما، بل إنه يزيد من خوفهما وقلقهما عليكِ، انظري لي وأخبريني ما فائدة كل هذا؟

يجب عليكِ المواجهة، حتى وإن كان هناك ألم، فأنا على يقين بأنه سيكون أقل كثيرًا مما يمكن أن يحدث بعد ذلك جراء موقفكِ هذا.

ارتمت بين ذراعيه مرةً أخرى، فأردف قائلًا:

ـ لا أريد أن أراكِ هكذا، أنتِ لست ضعيفة يا "لوسيندا"، ومهما حدث معكِ ستجدينني بقربكِ حاميًا لذات الوجه المضيء، أنتِ لست شقيقتي فقط، أنتِ ابنتي، رغم أننا توءمٌ وأنكِ تكبرينني ببضع دقائق، ولكن هذا لا يمنعني بأن أكون أبًا لكِ..

فضحك وأكمل:

ـ اقبلي بما كتبه الله لكِ، فالله لا يكتب إلا خيرًا.

ابتسمت له وهي تمسح دموع عينيها وأجابت:

ـ سأحاول يا أخي، ولكن لا تبتعد عني مرة أخرى، لا ترحل عنا وتتركني، وسأفعل حينها كل ما تأمرني به.

زادت ابتسامته بعدما سمع، بينما دلف الأب إلى غرفتها، حاملًا بيده أطباق الطعام دون أن يتفوه بكلمة، فقط ينظر لهما بسعادةٍ ترتسم على ملامحه، فأردف "ليام" قائلًا لها:

ـ والآن سنكمل طعامنا سويًا بغرفتكِ، هل تسمحين لي بالبقاء معكِ اليوم؟

فضحكت وهي تنقل نظراتها بين والدها وشقيقها بحبٍ ظهر في عينيها، وكأن قوتها عادت لها من جديد، وقالت بثقةٍ عالية وبنبرةٍ بها الكثير من الدفء:

ـ أنا أحبكما كثيرًا.

ترك الأب ما بيده واقترب منها وضمها إليه بقوةٍ، قائلًا:

ـ وأنا أيضًا أحبكِ كثيرًا يا صغيرتي.

دلفت شقيقتها "لبنى" التي تدرس في السنة الدراسية الثانية بالجامعة، ممسكة بثمرة فاكهة بيدها تلتهمها بتلذذ، وما أن رأتهم ألقت بنفسها عليهم، صارخة:

ـ أين نصيبي أنا مما يحدث هنا الآن أيها اللصوص، هذا ليس عدلًا.

ليضرب "ليام" بيده أعلى رأسها بخفة، قائلًا:

ـ اهدئي قليلًا أيتها العفريتة.

لتتصنع الغضب وهي تقفز أعلى ظهره قائلة:

ـ أعطني نصيبي وإلا سأجعلك تندم الآن؟

ليسألها "ليام":

ـ وكيف ستجعلينني أندم يا حلوتي؟

أجابت وهي قابضة على ظهره:

ـ لن آتي معك بعد انتهاء عطلتي، سأنقل دراستي إلى (الإسكندرية)، ولن تجد من يساعدك بعد ذلك.

ضحك "ليام" عاليًا وهو يقول:

ـ ما لا تعلمينه أنني سأنقل عملي أنا أيضًا، ولن أغادر (الإسكندرية) ثانية.

قالها وهو يوجه نظره إلى "لوسيندا" ويغمز لها.

نظر له الأب وقال بجدية:

ـ كيف تنتوي فعل ذلك!؟ ستخسر كثيرًا إذا فعلت.

ضم شقيقتيه بين ذراعيه وهو ينظر لهما بحبٍ قائلًا:

ـ وإن لم أفعل سأخسر شيئًا ثمينًا لا يُقدر بثمنٍ هنا، المال سيُعَوَّض يا أبي، ولكن هناك أشياء أخرى لا تُعَوَّض، فلا تقلق بشأني، سأرتب حالي جيدًا.

واقترب منه واضعًا قبلة طويلة على رأسه.. ومن ثم وبعد الانتهاء من طعامهم، قام "ليام" لأداء فريضته وأمر أختيه أن تتجهزا للخروج بعد الانتهاء من صلاتهم.

****

بشركة "فريد المرشدي"..

دلفت "هالة" لمكتب "فارس"، بعد أن سمح لها بالدخول، وهو منهمكٌ بالعمل ودراسة ما أمامه ممسكًا عدة أوراق بيده لتخبره:

ـ أستاذ فارس.. والد حضرتك يريدك بمكتبه الآن في أمرٍ هام.

ترك ما بيده وهو جاحظ العينين غير مصدق قائلًا:

ـ هل أنتِ تقصدين ما تعنيه!؟

ابتسمت من ردة فعله وهي تؤكد عليه ما قالته للتو..

فأعاد عليها السؤال مرة أخرى:

ـ أبي من يريدني، أم أنه فريد بك صاحب الشركة؟

ضحكت عاليًا وهي تدير ظهرها لتغادر.. مؤكدة عليه أن والده هو من يريده..

وقف "فارس" خلف الباب يعدل من هندامه، واضعًا يده على رأسه ليتأكد من أن شعره كما هو لم تعكر صفو ثباته نسمات الهواء، ثم ضحك من ردة فعله قائلًا: والدي وليس فريد يا فارس، ما بك!؟

وقام بفك ربطة عنقه، وحرر زر قميصه العلوي وتوجه إلى مكتب والده، فتح باب المكتب دون استئذان وهو يبتسم ابتسامة واسعة لوالده وأردف:

ـ أقسم أني افتقدتك أبي.

وجلس على الكرسي المقابل له، فابتسم له "فريد" وهو يهز رأسه في اعتراضٍ قائلًا متصنعًا الحدة:

ـ لا فائدة منك يا فارس، لن تتغير!

أجاب "فارس" وهو يمد يده ليأخذ من الحلوى الموضوعة أعلى المكتب:

ـ نعم يا أبي لن أتغير، وهيا أخبرني، ماذا تريد من ابنك إذن؟

قبل أن يجيب عليه، صمت قليلًا... ونقل جلسته إلى الطاولة الخاصة بالاجتماعات، ليكون أكثر أريحية قائلًا وهو موليًا ظهره لـ "فارس:

ـ يجب عليك أن تعلم أن لدينا موعدا هاما جدًا في نهاية هذا الأسبوع.

ـ أي موعد يا أبي؟

ـ موعد تعارف، تمهيدًا لخطبتك يا بني.

خبط "فارس" كف يده بأعلى رأسهِ قائلًا:

ـ ما بك؟ أراك تستعجل زواجي أكثر مني، هذا آخر ما توقعته منك يا أبي!

تنهد "فريد" قبل أن يجيب، وكأنه يخرج من جوفه ما يثقل كاهله ليستريح قلبه، ثم اقترب نحو الأريكة ذات القماش الجلدي الأسود قائلًا:

ـ أنت ابني الوحيد يا فارس، تركتك تفعل ما يحلو لك من دراستك بالخارج التي أضعت عليها سنوات عمرك، إلى عملك في أكثر من مجال، ولم أسمع منك حتى

الآن أنك أحببت فتاة وتريد الزواج منها.

ـ أبي، أنا لا أرى نفسي في منزل مسؤولًا عنه وعن أسرة كاملة، أو زوجًا لفتاة كل ما يهمها تربية أولاد وبناء أسرة، أبي، أنا رجلٌ حر.

ـ أعلم ذلك يا بني، ولكني على يقين بأنك ستكون خير زوج وأب، وإن كان لا يعجبك هذا ولا أعلم سببًا لاعتراضك حتى الآن، أخبرني، هل لديك حبيبة؟

ضحك "فارس" من كلمة والده، وقال بثقةٍ عالية:

ـ نعم لدي من خطفت قلبي ولم تعده لي حتى الآن.

ابتسم له "فريد" وقال بلهفة:

ـ وأين هي؟

ـ لا أعلم حقًا، ولكنها لم تعد موجودة.

قال "فريد" بجديةٍ ونبرة بها القليل من الحدة:

ـ سنقوم بالزيارة كما اتفقت معهم في نهاية الأسبوع يا فارس، فكن مستعدًا.

لم يستطع "فارس" أن يتفوه بكلمةٍ بعد ما قاله "فريد"، كان الغضب باديًا من حديثه، فحاول أن يهدئه قليلًا، قائلًا له قبل أن يغادر:

ـ لا مانع لدي، ولكني أريدك أن تخبر أستاذ فريد بما أمرتني به، سآخذ إجازتي هذه المرة رغمًا عنه من أجل إرضاء الوالد فقط لا غير..

وفر من أمامه قبل أن يوبخه، ولكنه لم يفشل في رسم الابتسامة على وجهه كعادته.

****

الفصل السادس

داخل أحد المطاعم، تجلس "أميرة" على طاولةٍ بالقرب من نافذةٍ زجاجية، وبالمقابل تجلس "لوسيندا" وهي تقوم بتصفح أحد المواقع عبر الإنترنت، بينما انكمشت ملامحها وهي تقرأ ما أخبرتها عنه "أميرة" منذ قليل، ثم أردفت بنبرةٍ مرتجفة:

ـ لم أتخيل أن كل ما حدث لي هو أمرٌ طبيعي بالنسبة لهم بهذا الشكل.

ـ ليس أمرًا طبيعي، لكنه خارج عن الإرادة، ويجب علينا المواجهة، أو على الأقل لا نحمل أنفسنا ما لا طاقة لنا به، لكل موقف سبب ولكل سبب علاج، فلا تيأسي، واسمعي كلام أخيكِ، وواجهي كل مخاوفكِ لكيلا تعيشي هاربة منها هكذا، اصمدي لوسيندا، لن تكوني وحدكِ، فأنا معكِ، وأخوكِ أيضًا يقوم بتشجعيك، فلا تخذليه.

ـ لن أفعل، فهو من يمنحني الأمان بتلك الحياة، ولكني حائرة، ماذا أفعل حقًا!؟ هل سأقوم بمقابلة العريسين!؟

لا أتخيل هذا!

ـ لابد وأن تفعلي، العريس الذي أتت به والدتك سيزوركم وعائلته بنهاية الأسبوع، تحدثي معه واتركي مخاوفكِ جانبًا حينها.

ـ سأفعل، ولكن بماذا سأخبر ليلى؟ إنها تنتظر مني الموافقة على موعدٍ جديدٍ لمقابلة شقيق زوجة أخيها.

ـ سنرتب كل هذا، لا تقلقي، هيا بنا لنقوم بشراء ما يلزم يا عروس.

قالتها "أميرة" وهي تضحك عاليًا، فتخضب لون وجنتي "لوسيندا" وهي تخبئ وجهها بين كفيها قائلة:

ـ إنه أمرٌ جنوني، لم أتخيل أنني سأقدم يومًا على المواجهة، وسأقبل على الحياة من جديد، الفضل لكِ ولجلسات العلاج.

قبضت "أميرة" على يد "لوسيندا" بقوةٍ وأردفت:

ـ أنتِ قوية حبيبتي، ستفعلينها.

****

وأتى اليوم الذي طال انتظاره، لم تتخل "أميرة" عن مريضتها، متخذة دور الصديقة أمام الجميع، بينما حرصت "ليلى" على أن تقف إلى جوار صديقتها "لوسيندا" في هذا اليوم.

جهزت الأم كل ما يلزم، محاولة تجنب الحديث مع "لوسيندا" منعًا للمشاجرة المعتادة، واكتفت بأن تخبر "أميرة" بما تريد قوله لابنتها من نصائح فطمأنتها "أميرة" بأنها لن تترك "لوسيندا" أبدًا، ومهما حدث فستقوم هي بعلاج الأمر مباشرةً دون أن تضطر هي للتدخل، استجابت الأم لما قالته "أميرة" وذهبت لاستكمال ما توقفت عنه..

وبغرفة "لوسيندا" كانت "ليلى" تقوم بتجهيز العروس، طُرق باب الغرفة.. فسمحت "لوسيندا" للطارق بالدخول، فكان والدها، لم يتفوه بكلمة... ولكنه كان يتأمل ابنته في هيئتها الملائكية التي كان ينتظرها منذُ زمنٍ بعيد، اقتربت منه ابنته وهي تراقب عينيه التي اغرورقت بالدموع، فمسحت وجنتيه بأطراف أناملها، وأردفت وهي ترسم على ثغرها ابتسامة واسعة:

ـ لا تتسرع بالبكاء يا أبي، أنا لم أوافق بعد.

فضحك الأب على ردة فعل ابنته، وضمها إليه قائلًا:

ـ لن أجبركِ على فعل ما لا تريدينه يا ابنتي، ولكن هيئتكِ اليوم في غاية الجمال، أتمنى أن أسعد بكِ وأراكِ بمنزل زوجكِ قبل أن أرحل عنكم.

ابتعدت "لوسيندا" قليلًا عن والدها وهي لا تستطيع التحكم في دموع عينيها هي الأخرى، شاعرة بما داخله من خوفٍ وقلق يقاومهما، كي لا يخسر ابنته أو يجبرها على شيء، ولكن أولًا وأخيرًا فهو أب.. ويريد أن يفرح بابنته الكبرى، وضعت "لوسيندا" على جبهته قبلة طويلة، وأردفت وهي تحاول استجماع شجاعتها:

ـ ستفرح يا أبي لا تقلق عليّ، وستري أحفادك حولك، وسأغار من حبك لهم.

ابتسم الأب في سعادةٍ كبيرة من حديث ابنته التي يراها بهذه القوة لأول مرة منذُ زمن، وكأنها عادت له من جديد.

دلفت "لبنى" إلى الغرفة وهي تخبر والدها بأنها رأت الضيوف من الشرفة، وتصرخ قائلة:

ـ إنهم يمتلكون سياراتٍ فارهة، ويبدو عليهم الثراء الفاحش.

ثم أردفت متسائلة:

ـ هل للعريس أخٌ يليق بي؟

ليرد والدها متصنعًا الجدية:

ـ ابتعدي عن وجهي الآن والتزمي الهدوء اليوم، ولا أسمع منكِ حرفًا واحدًا لحين مغادرة الضيوف.

فتذمرت "لبنى" وهي تضرب بأرجلها أرضًا منادية لوالدتها قائلة:

ـ أريد قطعة من الكعك، لقد تم إفساد حالتي المزاجية اليوم وأريد إصلاحها.

❊❊❊❊

بغرفة الضيوف جلس "فريد" بجانب زوجته، وجلس "فارس" بين "مروان، وزين"، وقف "كرم" بجانب ابنه "ليام" بعد أن قاما بالترحيب، ثم استأذن "كرم" ليحضر ابنته، فجذبه "ليام" قائلًا:

ـ أنا من سأقوم بإحضارها.

وابتسم لهم وذهب.. دلفت "لبنى" ومعها "أميرة" و"ليلى"، جحظت عينا "مروان" عند رؤيته لـ "ليلى" محاولًا استيعاب ما يحدث هنا، خاصة بعد أن اقتربت منه "ليلى" وهي ترحب به وكأنه غريبٌ عنها، جلست البنات بآخر الغرفة.. فأمسكت "ليلى" هاتفها تبعث رسالة عبر تطبيق الواتساب، ليستقبلها "مروان" ويفهم ما يحدث، واكتفى بكتابة:

ـ أريدك أن تنهي كل شيء اليوم، فأنا لن أسمح بأن أضع نفسي بموقفٍ كهذا مع أحد أصدقائي، أتمنى ألا يعرف أحد مهما حدث، أنهي كل شيء قبل رحيلك.

****

بغرفة "لوسيندا" يقف "ليام" أمام شقيقته وهو يؤكد عليها ما قاله لها، فأومأت رأسها بالإيجاب.. فوضع يده بيدها وضمها بقوة وهو يتجه نحو غرفة الضيوف، وقفت "لوسيندا" على باب الغرفة وهي تنظر لهم وتبتسم بحب، حتى وقع نظرها على من يجلس جانب "فارس"، وهو أيضًا جحظت عيناه عليها، لكنه تدارك الأمر وأشاح بناظريه سريعًا خوفًا من أن يلاحظ أحد انتباهه لها..

ارتجفت "لوسيندا"، فشعر بها "ليام" وجذبها إلى أقرب مقعدٍ وجلس جوارها ممسكًا يدها بقوة، تنظر "لوسيندا" تجاه "أميرة" وكأنها تريد إخبارها بشيء، قام "زين" من جلسته وهو يستأذن أن يستخدم الحمام، فترك "ليام" يد شقيقته قائلًا:

ـ اهدئي وتذكري ما قلته لكِ.

وسبق "ليام" "زين" وهو يشير بيده نحو الحمام، فاقترب منه "زين" وشكره، تأمله "ليام" بدقة وهو يضيق عينيه، وشرد قليلًا وكأنه يتذكر شيئًا ما.

تقدمت "أميرة" إلى "لوسيندا" وجلست جوارها، فأخبرتها "لوسيندا" بأن "زين" هو الشخص الذي أخبرتها عنه، لم تتمالك "لوسيندا" ارتجافتها.. فربتت "أميرة" بيدها على ظهرها وهي تحاول تخفيف ما تشعر به، ثم أخبرت الجميع بأن "لوسيندا" تشعر ببعض الدوار، وستأخذها لغرفتها قليلًا لكي تتناول بعض حبات الدواء، نظرت لها والدتها نظرة تعلمها جيدًا، ففهمت "لوسيندا"، وأخبرت "أميرة" بأن تحضر هي حبة الدواء من الغرفة لعدم استطاعتها النهوض الآن حرجًا من الزائرين، بينما أردف الأب قائلًا:

ـ إنها تركت نفسها اليوم دون طعام لانشغالها، مما كان سببًا في انخفاض ضغط الدم وشعورها بالدوار.

وراح يشكو لهم إهمالها المتكرر للطعام دومًا.

ابتسم الجميع وتمنى "فريد" لها الشفاء، وأتم حديثه ابنه "فارس" بالدعاء لها.

وبداخل الحمام.. كانت هناك ثورة أخرى تشتعل داخل "زين"، لم يتمالك "زين" غضبه، فضرب يده بقوة على الجدار وهو ينظر لوجهه المنعكس على المرآة المنكسرة، والتي قامت بتقسيم وجهه قائلًا بصوتٍ يسمعه وحده، به الكثير من الحدة والغضب قابضًا على أسنانه بقوة: كيف يحدث هذا؟ كيف!؟ ألا لعنة الله على الصدف، يا لسخرية قدري يا الله!

استغرب "ليام" تأخر "زين"، فطرق باب الحمام طرقًا خفيفًا ملأه الحرج، ليجيب "زين" من الداخل:

ـ حسنًا، أنا قادم.

ثم يغسل وجهه بالماء البارد عل البركان الذي انفجر داخله يهدأ ولو قليلًا.

خرج "زين" وهو يبتسم لـ "ليام" فإذا بـ "ليام" يبادره بالحديث متسائلًا:

ـ ألم نتقابل من قبل؟

فابتلع "زين" ريقه في مرارة، وأجاب بنبرةٍ ثقيلة:

ـ أظن ذلك، فوجهك ليس غريبًا عليّ.

أردف "ليام":

ـ أين؟

أجاب "زين" بنفاد صبر، وكأن الحديث لا يروق له، ولكنه يحاول أن يكون أكثر طبيعية:

ـ أظن أنني قابلتك برفقة أحد أصدقائي المقربين بالجامعة، ولكنها كانت مرة أو اثنتين لا أكثر.

ـ نعم.. لقد تذكرت، لم تكن مرة أو اثنتين لقد تقابلنا بطفولتنا أيضًا، أنت صديق "عماد"، "عماد كامل"، أليس كذلك؟

ابتسم له "زين" وأجاب بنعم:

ـ أنا صديق عماد، والآن هو خطيب شقيقتي أيضًا.

ضحك "ليام" على تلك المصادفة قائلًا:

ـ إننا أقارب إذًا، مصادفة غريبة حقًا ولكنها جميلة أيضًا.

يعلم "زين" هذا كله، لكنه تظاهر بعدم الفهم وكأن تظاهره جزءٌ من إخفاء ما كان بينه وبين "لوسيندا"، قام "ليام" باحتضانه ورحب به هذه المرة بحرارة أكبر، ودلفا إلى غرفة الضيوف معلنًا هذا أمام الجميع، فانقبضت ملامح والده قليلًا، وعبس وجه الأم من فعل ابنها، رغم أنها تعلم هذا منذُ رؤيته ولا تود الإفصاح مراعاة لمشاعر زوجها، حتى لا تذكره بما نشب بينه وبين أخيه من خلافاتٍ كبيرة منذُ سنواتٍ طوال، هي لا تريد أن يعكر صفوه اليوم أحد لتتم تلك الزيجة على خير، فتظاهرت هي الأخرى وكأنها لا تعلم، حاول الأب أن يرسم على ثغره الابتسامة، بينما اندهش الجميع من تلك المصادفة، مضمر كل منهم في نفسه اندهاشته الخاصة وأسبابه الدفينة من أول صدفة "مروان"، وحتى صدفة "زين" الآن.

دلفت "أميرة" وهي تقدم لـ "لوسيندا" حبة الدواء وأردفت لها:

ـ ستساعدكِ على تمالك نفسكِ أكثر، لا تقلقي، لابد وأن يكون هو من يثور الآن، لأنكِ ستكونين مع رجلٍ غيره، لا تبكي حبيبتي، تمالكِ نفسك، نحنُ معكِ وبجانبكِ دومًا، هيا ارفعي رأسكِ لا تخجلي.

استمعت "لوسيندا" لكلمات "أميرة" محاولة التماسك، وبداخل عقلها صراعٌ دائر، ورغبة في المقاومة والمواجهة والتحدي وطمس الماضي، فنظرت لوالدها وهي تتذكر حديثه بغرفتها، وأيضًا حديث "ليام" لها منذُ قليل، فرسمت الابتسامة على وجهها وتملكتها قوة عجيبة وهي ترحب بوالدة "فارس"، كانت تلك أول كلمات تنطق بها مع الزائرين منذُ جلوسها، فأمرتها والدتها بالجلوس جانبها لتصبح بمواجهة والدة "فارس"، ليتجاذب الكل أطراف الحديث، كان الوضع مطمئنًا، فاقترحت والدة "لوسيندا" أن يتركا "فارس، ولوسيندا" يتحدثان بالشرفة على انفراد قليلًا قبل الاتفاق على أي تفاصيل، وما سرها حقًا هو ترحيب ابنتها عندما بادرتها بالسؤال:

ـ هل لديكِ مانع!؟

لتجيب لوسيندا دون تفكير:

ـ أبدًا يا أمي، أنا جاهزة وليس لدي مانع.

فربتت على ظهرها وهي تقول لـ "فارس":

ـ هيا اجلس مع عروسك بالشرفة قليلًا.

فاستجاب لكليهما..

في حين قامت "لبنى" و"أميرة" لإحضار واجب الضيافة، وجلس جميعهم يتبادلون الأحاديث الجانبية، حتى "ليام" لم يترك "زين" و"مروان" وأخذ في الاسترسال في الحديث معهما عن عملهما ودراستهما، كان "زين" يقوم بالرد في صعوبة، وينظر إلى الشرفة يتأمل "لوسيندا"، وكأنه هو من يقف جانبها كيوم خطوبة شقيقته، ليخبط "ليام" على كتفه ويخرجه من عالمه الخاص الذي يعيشه بمخيلته مع حبيبته السابقة، وبداخل الشرفة طال الصمت كثيرًا... حتى أردف "فارس" قائلًا وهو يضحك:

ـ لم أتخيل حالي في هذا الموقف أبدًا يا "لوسيندا"، لا تنزعجي من حديثي ولكنها الحقيقة.

لتجيب عليه:

ـ لن أنزعج بكل تأكيد، لأني في نفس الموقف، أتعلم أنني كنت أتحجج بأي شيء عندما أعلم أن هناك من يقوم بالزيارة لخطبتي، ولا آتي إلى المنزل حتى أعلم أنهم رحلوا.

ضحك "فارس" عاليًا مما جذب انتباه الآخرين له، ظنًا منهم أنهما قد اتفقا، فراق لهم ما يحدث، بينما ما بداخل "زين" يتزايد أكثر فأكثر، حتى بان عليه الغضب لمن يعرفه جيدًا وهذا ما شعر به "مروان".

عقب "فارس" على حديثها قائلًا:

ـ وأنا أيضًا كنت أهرب بالسفر مع أصدقائي، كُلما فتح أبي موضوع الزواج ولا أعود إلا بعد عدة أسابيع عله يمل مني وينسى الموضوع تمامًا، ولكن "فريد" لا يعرف اليأس أبدًا، لذلك أنا هنا اليوم.

قالت "لوسيندا" بثقةٍ عالية:

ـ نحن متشابهان كثيرًا في الرفض لفكرة الزواج، وكل منا يريد أن يريح والديه فقط، هذا سيجعلني أعيد التفكير بالأمر.

لم يفهم ماذا تقصد بقولها، فبادرها متسائلًا:

ـ ستوافقين على زواجي منك إذن!؟

نظرت له وهي تتأمله، ومن ثم وجهت نظرها إلى الخارج لتجد "زين" يترقبها من بعيد.. فأردفت قائلة دون النظر له مرة أخرى:

ـ أظن ذلك يا فارس.

فابتسم لها "فارس" بأريحية قائلًا:

ـ وأنا أيضًا لا أمانع، فأنتِ تروقين لي كثيرًا.

التفتت له سريعًا وهي تنظر له بغير استيعاب، فأوضح "فارس" ما يقصد قائلًا:

ـ أري أنك أنثى قوية، وأنا أحب ذلك، ولا تنسي أننا سنفعل ذلك من أجل هؤلاء.

وأشار إلى من يجلسون بالخارج، فأومأت رأسها بالإيجاب.

خرجا سويًا ووقفا أمام الجميع مبتسمين، فبادر "فارس" قائلًا:

ـ من منكم يحفظ سورة الفاتحة، إذن لنقرأها الآن.

اندهش والدها مما قاله "فارس" فابتسمت له "لوسيندا"، وهزت رأسها بالإيجاب، اقترب منها "ليام" وضمها إليه وقال بنبرةٍ لا يسمعها غيرهما:

ـ بما تشعرين الآن يا لوسيندا؟

قالت بنبرةٍ هادئة جدًا:

ـ أشعر بقوة غير طبيعية، ولكني أخشاها كثيرًا.

ضمها أكثر وأردف:

ـ لا تقلقي، فأنا معكِ دومًا حبيبتي.

وبعد أن بارك الجميع لبعضهم البعض، قاموا بقراءة الفاتحة، وقام "فريد" بإخراج علبة قطيفة زرقاء اللون، وبها دبلتين من الذهب، قائلًا:

ـ كانت معي هذه العلبة منذُ عدة أشهر، ويجب عليّ إخراجها الآن، فقد حان دورها، كنت أعلم أنك لن تخذلني هذه المرة يا فارس.

فقام "فارس" باحتضان أبيه، واقترب "ليام" وأخذ من يد "فريد" العلبة قائلًا:

ـ أنا من سأضع بيديهما هاتين الدبلتين، إذن، هيا اقتربا.

فضحك جميعهم على فعلته.. ولكن "زين" كان بعالمٍ آخر تمامًا، لم يتفوه بكلمة واحدة حتى بادره "مروان" بالسؤال:

ـ ما بك يا زين؟ لست على ما يرام، وهذا واضح لي كثيرًا.

أجاب "زين" في ضيق:

ـ هناك من كانت حلمًا أحلم كل يوم أن يحققه الله لي، واليوم أصبح حقيقة باختلاف الأدوار.

حاول "مروان" استيعاب ما قاله "زين" محاولًا تهدئته والتخفيف عنه قليلًا، فأفصح له هو أيضًا عن مفاجأتين من العيار الثقيل قائلًا:

ـ هل تعلم من هي لوسيندا بالنسبة لي؟

اعتدل "زين" من جلسته وهو يضيق من نظراته.. ليجيب متسائلًا:

ـ ماذا تقصد يا مروان؟ أأنت أيضًا كنت تحبها!؟

فضحك "مروان" قائلًا:

ـ لا.. إنها هي من كانت تتفوق علي في التحديات، التي تعايرني بها أنت وتريد البحث

عنها لتتعلم منها كيف كانت تتفوق عليّ.

ليضحك "زين" على اليوم المليء بالصدف قائلًا:

ـ ليس جديدا على لوسيندا الفوز بالتحديات يا صديقي، أعلم هذا جيدًا.. ترى كم صدفة سنكتشف اليوم يا الله!؟

ابتسم "مروان" قائلًا:

ـ سأخبرك آخر صدفة، ليلى صديقة لوسيندا هي شقيقة زوج أختي، ولوسيندا كانت العروس المنتظر رؤيتها الأسبوع القادم.

ضحك "زين" عاليًا ولم يستطع التوقف، فضحك عليه "مروان" وقال "فريد":

ـ ما بكم يا رجال؟ ماذا أصابكما للضحك هكذا!؟

أجابه "مروان" مسرعًا، لا شيء يا عمي فقط تذكرت موقفًا قديمًا وقمت بحكايته لـ زين.

أردف "كرم" داعيًا لهم:

ـ جعل الله لكم جميعًا حياة سعيدة مليئة بالضحك يا أولاد.

ختم "فريد" الحديث مع "كرم" في هذا اليوم بالاتفاق على موعد عقد القران، واقتصار الخطبة على فترة تعارف قصيرة، فجميعهم جاهزون ولا داعي للتأجيل، واتفق الجميع على هذا، وذهب كل منهم وبداخله شيء لا يعلمه غيره.

أما بغرفة "لوسيندا" فكان الصراع داخل عقلها هادئًا جدًا، صراع كنهه تلك الطاقة العجيبة التي تملكتها ومكنتها من المواجهة والتحدي، خشية أن تكون ردة فعلها لا مواجهة حقيقية وإنما مجرد تخطيط للانتقام!

الفصل السابع

قبل أذان الفجر يجلس شاردًا على أحد الشواطئ بـ (الإسكندرية) يتأمل تلاطم الأمواج، ينظر جانبه متذكرًا ما حدث بينهما في آخر لقاء، ليجدها تجلس وهي ترقبه بعينيها البندقية اللون وتبتسم في وجهه، التفتت بعيدًا حين رآها، وتخضبت وجنتاها بالحمرة، اقترب منها، وضع أنامله الباردة على يدها لترتجف وتسحب يديها وتبتعد خطواتٍ بسيطة مولية ظهرها له وهي تضم ذراعيها، اقترب منها وأردف بهمس:

ـ أحبك بجنون، حقًا لم أعلم ما داخلي نحوك سوى في غيابك عني تلك الفترة.

لم تلتفت له، لكنه زاد اقترابًا منها محيطًا إياها بذراعيه من خلف ظهرها بقوة، فالتفتت مسرعة وهي تنظر له في غضبٍ وتصرخ بوجهه:

ـ أجننتْ لتفعل هذا!؟

لم يستطع السيطرة على نفسه، أمسك بذراعيها ضامًا إياها بقوةٍ محاولًا الحصول على ما لا حق له فيه، تألمت من قوته، حاولت أن تبعد يديه عنها، ولكنها لم تفلح.. فقالت وهي ترتجف:

ـ أنا من أخطأت حين وافقت على مقابلتك خارج أبواب الجامعة، هذا لن يحدث ثانية، ابتعد عني.

دفعته بعيدًا.. فجذبها بقوةٍ مرة أخرى محاولًا احتضانها وهو يهمس:

ـ لقد جننت بكِ، ولا أحتمل ابتعادك عني هكذا.

حاولت أن تفلت منه، كانت تقاومه بكل قوتها لكن سرعان ما تخبطت رؤيتها لترى طفلة في عُمر التسع سنوات وهي تصرخ أمامها، تمد يدها لها وهناك من يجذبها من الخلف فتصرخ عاليًا، مدت "لوسيندا" يدها للفتاة وهي تبكي في صمت... وقبل أن تتلامس يداهما اختفت الطفلة وحل مكانها الظلام، وهنا أفاقت "لوسيندا"

واستطاعت أن تفلت من بين يديه لتصفعه بقوة وهي تنظر له في غضب، غير مصدقة ما حدث.. ثم ابتعدت عنه مسرعة تطاردها شياطين الأرض حتى اختفت.

سالت دموع عينيه وهو يتذكر المشهد أمامه مرة أخرى فرفع رأسه إلى السماء بينما تبدلت عيناه البنيتان إلى الاحمرار الشديد، فأغمضهما بقوة وهو يقبض على يديه ضاربًا بهما أعلى ساقيه مناديًا ربه، يدعوه بقلبٍ يتآكل من داخله، حتى اخترق صوت أذان الفجر مسامعه، ففتح عينيه بتعبٍ شديد، يحاول رسم الابتسامة على ثغره، وكأن الله سمع بكاءه فأنزل سكينته بقلبه.

ارتفع صوت رنين هاتفه، وكان المتصل به هو "فارس"، سائلًا إياه بقلق لماذا لا يجيب على هاتفه منذُ مغادرتهم لمنزل العروس!؟ حتى أنه امتنع عن الوليمة التي أقامها "فريد" لهم احتفالًا بإتمام الخطبة مؤثرًا البقاء بالإسكندرية، لم يجب عليه "زين" واكتفى بإخباره – معتذرا - أنه مضطر لإغلاق الهاتف وإنهاء الاتصال حتى يلحق بصلاة الفجر، واعدا إياه معاودة الاتصال مرة أخرى.

نظر "فارس" إلى هاتفه وهو يردد: صلاة! زين! إنه يوم مليء بالمفاجآت حقًا، ولكنه جميل جدًا.

****

عدة أسابيع قليلة أعقبت يوم الخطبة كانت كافية ليتعارف "فارس" و"لوسيندا" بشكلٍ كافٍ، خاصة مع زياراته المتكررة إلى (الإسكندرية) واقتراب الموعد المحدد لعقد قرانهما، خلال تلك الفترة لم تتخل "أميرة" عن "لوسيندا" يومًا واحدًا، كانت تمدها دومًا بالقوة، وتكثف لها الجلسات الخاصة كي تستقبل حياتها الجديدة دون رهبة أو خوف.

كانت "لوسيندا" ومنذ يوم سقوطها مغشيًا عليها ودخولها المشفى وامتثالها للعلاج، منقطعة عن العمل بناءً على طلب من طبيبتها الخاصة، راغبة أن تبقيها في حالة هدوء تام بعيدًا عن أي توتر أو ضغط.

حتى اليوم التالي للخطبة حين قررت "لوسيندا"، عقب أن تناولت فطورها بالخارج مع شقيقها "ليام" و"فارس" التوجه للدار مباشرة، كان يوم عودتها حافلًا، راحت

تستقبل الأطفال بأحضانها، يضعون القبلات على وجنتيها بحب.

لتهرول إليها الطفلة "نادين" فور رؤيتها وبيدها سروالٌ صغير، تضعه أمام عينيها وهي تسألها عن رأيها به، لتقترب منها "لوسيندا" تضمها بين ذراعيها، وتمد لها يدها بشنطة مليئة بكل ما تحتاجه "نادين" في تصاميمها العبقرية التي تفوق سنها وتنبئ بمستقبل تلك الطفلة، والذي رسمه لها القدر منذ طفولتها، لتصرخ فرحًا وهي تقفز بين أحضانها مرة ثانية وتجري بكنزها الصغير وهي تنادي على زميلاتها، لتقوم بأخذ مقاساتهن جميعًا، وتصمم لهن أحدث صيحاتها الأخيرة.

ضحكت "لوسيندا" على رد فعل "نادين".. واتجهت نحو مكتبها، أخذت من فوقه بعض من الأوراق ودلفت بها إلى مكتب مديرة الدار مدام "فاتن"، لترحب بها الأخيرة بحرارة مرحبة بعودتها للعمل، اعتذرت لها "لوسيندا" عن عدم قدرتها حضور الحفل الذي أعدته الدار للأطفال، تقبلت مدام "فاتن" اعتذارها، مقابل حضورها الرحلة التي يتم التجهيز لها الأسبوع القادم، تلعثمت "لوسيندا" بالحديث قائلة إنها هنا لتخبرها بشيءٍ لن تصدقه، وأنها تريد تقديم طلب إجازة أخرى لانشغالها بتجهيزات الزفاف.

اندهشت "فاتن" من حديثها، وطلبت منها إعادة ما قالته ثانية، فكررت "لوسيندا" طلبها مرة أخرى.

حتى أردفت "فاتن" متسائلة:

ـ عن أي زفاف تتحدثين!؟

ابتسمت "لوسيندا" وهي ترفع يدها اليمنى، لتريها دبلتها، وتخبرها بأنها هي من ستتزوج، قامت "فاتن" من جلستها مهرولة نحو "لوسيندا" تضمها إليها بقوةٍ غير مصدقة ما سمعته، فباركت لها وأخذت قلمًا وذيلت ورقة بيضاء بإمضائها وهي تردف بفرحة:

ـ مباركٌ لكِ يا ابنتي، لقد فرحت لكِ كثيرًا، وها هي الورقة.. اكتبي بها ما تشائين..

شكرتها "لوسيندا" وهي تأخذ الورقة من يدها وقبل أن تغادر أخبرتها بأنها ستأتي

إلى عملها، ولكن بشكلٍ غير منتظم، لعدم قدرتها على التغيب عن الأطفال أكثر من ذلك، وأنها اشتاقت لهم طيلة إجازتها، فوافقت مدام "فاتن" على طلبها دون تردد.

****

دلفت "لوسيندا" إلى غرفة مكتبها لتفاجأ بـ "فارس" يجلس على الكرسي الخاص بها، فارتبكت وهي تنظر له نظراتٍ مرتعشة لتقول بتلعثم:

ـ لما أنت هنا!؟ كان من المفترض أن تكون مع أخي الآن كما أخبرتني في الصباح.

قال وهو يدور حول نفسه بالكرسي:

ـ منذُ أن علمت أنكِ تعملين بدار رعاية الأطفال، وأنا أنتوي زيارتك ورؤية الأطفال الذين تتعاملين معهم.

ابتسمت له وهي تقترب من المكتب بخطواتها البطيئة، وتجلس أمامه ثم أردفت متعجبة:

ـ ولماذا إذن؟ هل تحب الأطفال لهذه الدرجة!؟

فأجابها:

ـ جدًا.

قالها "فارس" دون تفكير، واستأنف حديثه:

ـ أنت لا تعلمين حقًا مدى حبي لهم.

مما دفعها لسؤاله:

ـ أخبرتني من قبل أنك ترفض فكرة الزواج، لأن حريتك أهم وتحب العيش وحيدًا! فكيف أصبحت الآن تحب الأطفال إذن!؟

ارتبك "فارس" من سؤالها وأسرع يجيبها قائلًا، وهو يعبث فيما هو موضوع أعلى المكتب بعشوائية:

ـ ألم تسمعي من قبل عن فتيات يردن أطفالا وتحلمن بالأمومة ومع ذلك يرفضن

الزواج؟ أنتِ نفسك ألم تتمني أن تكوني أمًا، ورغم ذلك كنتِ ترفضين فكرة الزواج!؟

أجابت عليه بنعم وهي تهز رأسها، وكأنها فهمت مقصد قوله، ثم انتبهت لحقيبة هدايا كبيرة كان قد جلبها معه، فسألته عنها وعما تحتويه، فقال وهو يفتحها ليريها ما بها من مقتنيات:

ـ إنها بعض الهدايا البسيطة، جلبتها من أجل أطفال الدار.. فهل لديكِ مانع!؟

فرحت كثيرًا وهي تتأملها بحبٍ مخبرة إياه بسعادة:

ـ إن الأطفال سيسعدون بها كثيرًا، فمنذُ فترة كبيرة لم يتبرع لهم أحد بالهدايا.

قال وهو يقوم من جلسته متجهًا للنافذة الزجاجية المطلة على حديقة الدار:

ـ أنا على أتم استعداد أن أقوم بهذا دومًا، ليس لدي أي مانع، بل بالعكس سأكون في غاية السعادة عند رؤيتهم فرحين.

شردت "لوسيندا" بضع ثوانٍ وهي تتأمله، وارتسمت على ثغرها ابتسامة واسعة، ثم أردفت وهي تطلق أنفاسها من الداخل بحرارة:

ـ أنا سعيدة جدًا بما تقوله حقًا، هيا بنا لنقوم بتوزيعها معًا، إن كان ذلك لن يعطلك عن شيء؟

ابتسم لما سمعه منها، وكأنه ينتظر تلك الفرصة ليرى الأطفال بنفسه وهو يقوم بتوزيـع ما جلب لهم من هدايا، لابد وأنها فرصة جيدة للتقرب منهم، زاد صمته وهي تنتظر إجابته عليها فنطقت باسمه.. ليجيب عليها مسرعًا:

ـ هيا بنا إذن لتعرفيني عليهم جميعًا، لأرى ما يحبون وأكون فكرة عامة عن احتياجاتهم فأجلبها لهم في المرة القادمة.

وبالفعل قاما بالتجول نحو غرف الأطفال، وقامت "لوسيندا" بتقديم الأطفال له، كان يتأمل كلًا منهم بحب، ويقدم لهم الهدايا مصحوبة بقبلات على وجنتيهم، حتى رأت "لوسيندا" من تجري نحوها وهي تعطيها شالًا من الصوف، وتردف قائلة بفخر:

ـ ما رأيك بهذا يا لولي؟

اقتربت منها "لوسيندا" وهي تتأمل ما بيدها وتخبرها كم هو جميل حقًا، ممتدحة إياها بأنها ستكون أجمل مصممة أزياء عندما تكبر.

تصرخ "نادين" وهي تقول بثقة مبالغة:

ـ أنا مصممة بارعة من الآن.. لن أنتظر عندما أكبر.

ضحك "فارس" من حديثها قائلًا وهو يقترب منها:

-لا تنزعجي، أنتِ أكبر وأعظم مصممة من الآن.

وقدم لها عروسًا صغيرة فضيقت عينيها قائلة:

ـ وهل لمصممة مثلي هدايا مثل هذه!؟

فابتسم لها قائلًا:

ـ لا عليكِ، أخبريني، ماذا تحبين أن أجلب لكِ بزيارتي القادمة؟

أجابته "لوسيندا"، إنها تحب كل ما يخص التصاميم من قماشٍ وخيوط وما خلاف ذلك.

وقفت "نادين" أعلى الفراش واقتربت من "لوسيندا" ووضعت قبلة على وجنتيها وهي تقول:

ـ وحدكِ من تفهمينني بهذا المكان يا لولي، أنا أحبكِ جدًا.

شرد بها "فارس" وهي تقبل "لوسيندا" وأخذ ينظر لها بتمعن ليقترب منها قائلًا:

ـ وأنا، أليس لي نصيب من هذا الحب؟

لتضحك "نادين" وتقفز أرضًا وهي تخبره:

ـ إن جلبت لي ما أحب سأعطيك قبلتين لا قبلة واحدة.

وفرت من أمامه وهي تقترب من إحدى الفتيات وتخبرها بأنها انتهت من تصميم شالها الخاص، لتجيبها الأخرى إنه يعجبها كثيرًا، ولكن ينقصه بعض من الرسومات

الكرتونية التي تحبها، ابتعدت عنها "نادين" بتذمر قائلة:

ـ أنتِ لن تفهمِي شيئًا من تصاميمي، هذه غلطتي لأنني أعمل لأطفالٍ مثلكم.

ضحك "فارس" و"لوسيندا" من فعلها وأردف "فارس":

ـ إنها فتاة في غاية الجمال، مشكلة حقًا هذه الطفلة.

متسائلًا:

ـ أليس من الخطر أن تستعمل طفلة في مثل عمرها الخيوط والإبر وما إلى ذلك من أدوات الحياكة.

فأجابته "لوسيندا" بأن مشرفة الأنشطة تعمل على تنمية موهبتها تحت إشرافها الخاص.

غادرا الغرفة وهي تخبره عن "نادين" وحياتها أكثر، وأنها الطفلة الأقرب لها بالدار، وأنها تذكرها كثيرًا بذاتها وهي في مثل ذات العمر.. ابتسم لها "فارس" واستأذن منها ليذهب لشراء بعض مستلزماته الخاصة بالزواج، واعدًا إياها أن يتم زيجتهما هنا بـ (الإسكندرية)، حتى لا تبتعد عن أطفالها وعن الدار، ثم غمز لها بعينيه وابتعد عنها، فارتبكت "لوسيندا" وهي تنظر له حتى غاب عن ناظريها.

****

في غرفةٍ كبيرة تحوي ألعابًا حديدية، وفراشًا صغيرًا ومكتبًا يعلوه الكثير من الكتب وجهاز لاب توب مفتوح، يصدح منه صوت الشيخ الشعراوي، ويجلس أمامه شابٌ بلحيةٍ متوسطة، وشاربٍ يليق بوجهه كثيرًا مع شعره الكثيف اللامع، يرتدي نظارة طبية صغيرة، يضع يديه أسفل ذقنه، وهو ينظر إلى شاشة اللابتوب بتركيزٍ كبير، حتى أنه لم يشعر بمن دخل غرفته ويرقبه منذُ قليل، اقتربت منه وهي تضرب بيدها على كتفيه، ومن ثم تضع قبلة على رأسه ليرتجف "ليام" وينظر خلفه، ويجد "لوسيندا" تضحك من ارتجافته قائلة:

ـ أين كنت يا أخي!؟ أنا هنا منذُ قليل، ومع ذلك لم تشعر بي.

قام "ليام" وهو يحك أنفه، ويخلع نظارته الطبية ويضرب بيده على رأسها قائلًا:

ـ ألم أخبرك من قبل ألا تفعلي هذا مرة أخرى.

لتجيب عليه وهي تتجه نحو فراشه:

ـ أخبرتني، ولكنِ أحب أن أشاكسك كثيرًا، هل لديك مانع؟

اقترب منها "ليام" وهو يجلس جانبها قائلًا بصوته الرخيم:

ـ ليس لدي أي مانع في مشاكستك لي، ولكن ليس بهذه الطريقة، ألم تعلمي أنكِ ترتكبين ذنبًا على هذا؟

جحظت عيناها وهي تقول معترضة:

ـ ولماذا إن شاء الله؟

قال لها:

ـ ألا تتذكرين قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا يَحِلُّ لمسلم أن يُرَوِّعَ مُسْلِمًا.

استأنف وزاد من شرحه، أنها ممكن أن تكون سببًا في رعب أحد فيرتجف قلبه من شدة الخوف، مما قد يتسبب في إيذائه أو وفاته إن صادف ذلك ضعفًا في قلبه، شردت "لوسيندا" فيما قاله لها "ليام" وسألته بنبرةٍ حزينة:

ـ هناك أفعال أخرى أعظم من المزاح وتسبب الخوف بشكلٍ لا يوصف، تميت القلوب كثيرًا، يعيش ضحاياها في رعبٍ طوال حياتهم، فكيف يعاقبهم الله على ذلك!؟

ليجيب عليها "ليام" قائلًا:

ـ إنه نفس العقاب، من يتسبب في أذى لمسلم مثله أيًا كان السبب، فالله لا يسامحه أبدًا وما فعلتِه أنت منذُ قليل أشبه بما تقولينه.. وليس هناك فارق.

قامت بمعانقته وهي تعتذر منه وتردف:

ـ لا أحب أن أكون مثلهم، لن أفعلها ثانية، فهم متوحشون للغاية، ذئابٌ بوجوهٍ بشرية، إنهم أبشع المخلوقات، يقومون بسلب الأمان من قلوبنا ويضعون مكانه

رهبة لا تنتهي أبدًا..

لم يفهم "ليام" ما تقوله شقيقته بين ذراعيه، ليسألها عما تتفوه به!؟ ابتعدت عنه قليلًا وهي تمسح وجنتيها وتبتسم له:

ـ إنها كوابيسٌ لعينة تراودني منذُ زمنٍ بعيدٍ يا أخي، لا عليك، فأنا الآن بخير.

قبلها "ليام" وهو يدعو لها بصلاح الحال، وقام بالحديث معها فيما يخص زواجها، ملقيًا عليها بعض النصائح.. ظلت تستمع له وهي تبتسم لتقول بنهاية حديثه:

ـ إنك أعظم أخ في الكون كله، ليت الجميع مثلك يا ليام، لكانت الدنيا بخير حقًا.

ضحك "ليام" قائلًا:

ـ لقد قُلتِها يا حبيبتي، إنها دنيا والدنيا تحمل هذا وذاك، نحن من نزرع بها الخير، ونحن أيضًا من نزرع بها الشر فبيدنا نفعل ما نراه مناسبًا لقلوبنا يا لوسيندا.

لم تتفوه "لوسيندا" بكلمةٍ واحدة، وفر من عينيها الدمع.. فقامت باحتضان أخيها طويلًا قبل مغادرتها غرفتهُ.

****

اليوم هو عقد قران "لوسيندا، وفارس"، مر اليوم عليها وكأنه دهرٌ كامل، يزيد ارتباكها كلما اقترب الوقت، ولكن بوجود "أميرة" و"ليام" كانت تتماسك أكثر، وقبل عقد القران بساعاتٍ قليلة، طلبت "لوسيندا" الانفراد بـ "أميرة"، فاستأذن الجميع من غرفتها، وبقيت "أميرة" جانب "لوسيندا" وعلى ملامحها علامات كثيرة تشير بالقلق، خوفًا من إلغاء "لوسيندا" عقد قرانها اليوم، فبالرغم من تعافي "لوسيندا" بشكلٍ شبه كامل إلا أنها كانت تشعر أن "لوسيندا" لا زالت تخبئ المزيد مما تخشى الإفصاح عنه، لذا وبالرغم مما بدا على ملامحها من قلق، حاولت أن تخرج نبراتها هادئة مطمئنة قدر الإمكان، مبادرة إياها بالسؤال:

ـ ما بكِ يا لوسيندا؟ هيا أخبريني..

تلعثمت "لوسيندا" بالقول وهي تفرك أصابع يديها ببعضها البعض وتحاول منع دموع عينيها من التساقط، لتردف:

ـ أريد إخبارك بشيءٍ لا تعلمينه.

قالت "أميرة" مسرعة:

ـ وهل هناك ما لم أعرفه بعد، وأثرتِ أنت إخفاءه؟

اقتربت منها "لوسيندا" وهي تخبرها:

ـ ليس بشكلٍ كامل، أنتِ تعلمين نصف الحقيقة فقط.

قالت "أميرة" بنبرةٍ مطمئنة أكثر، لكنها لا تخلو من الجدية:

ـ لا تخافي لوسيندا، الوقت لم يفت بعد، هيا أخبريني..

لتردف "لوسيندا" مسرعة، وبنبرةٍ كادت تختنق:

ـ أنا أخشى اقتراب فارس، لا أريده أن يقترب مني كزوج، لا أستطيع فعل هذا، لا أستطيع.

وانهارت بالبكاء وزاد ارتجاف جسدها، فاقتربت منها "أميرة" مسرعة وضمتها إليها متسائلة:

ـ لما لا تريدين هذا يا لوسيندا، إنه أمرٌ طبيعي حبيبتي، فارس سيصبح زوجك حلالك بعد قليل، وستتبقى شهور قليلة على حفل زفافكما، هناك وقتٍ كافٍ لتتعرفي عليه أكثر وتقتربي منه أكثر.. أم أنكِ تخبئين شيئًا آخر تودين إخباري به؟

ابتعدت "لوسيندا" عنها وهي تقول بنبرةٍ أشبه بالانفجار:

ـ زين ليس وحده من حاول الاقتراب مني، وليس وحده من لمس جسدي، وليس وحده من كان سببًا فيما أنا عليه الآن.

حاولت "أميرة" أن تحافظ على هدوء نبراتها وخلوها من أي انفعال سوى ما يزيد اطمئنان "لوسيندا"، ويمحو عنها أي توتر أو حرج، محتضنة إياها مرة ثانية قائلة:

ـ أنتِ أخبرتني بأنه حاول التعرض لك بهذه الطريقة أكثر من مرة، وفي كل مرة كنتِ تهربين منه حتى وصل به الأمر بلقائكما الأخير لتجاوز كل حد، ولهذا السبب أنتِ ترفضين الزواج لعدم ثقتك بالرجال جميعًا.

كانت "أميرة" تحاول دفع "لوسيندا" للاسترسال في الحديث، لعلمها أن ما أخبرتها به الآن هو ذاته ما كانت تخفيه وتحاول تجنبه والتهرب منه، كانت تدرك أن بوح "لوسيندا" الآن لم يكن بالأمر السهل ولا الهين، لكنه أيضا يعني رغبة "لوسيندا" الصادقة بإتمام التعافي، مقترنًا بخوفها الدفين من عودة لحظات الألم وانتكاسة موشكة إذا ما حاول "فارس" الاقتراب منها كزوج، فزادت من احتضانها وتهدئتها، بينما "لوسيندا" باكية تتخذ دور الدفاع دون أن يوجه لها أحد اتهامًا ولو حتى زائفًا قائلة:

ـ أنا لم أخطئ مع أحد يا أميرة صدقيني، كل ما في الأمر، أنهم كانوا يقومون بالتحرش بي منذُ صغري، كانوا يلمسون جسدي رغمًا عني، كنتُ وقتها ضعيفة جدًا ولا أستطيع الدفاع عن نفسي، أكره جسدي وأكره النظر إلى نفسي في المرآة، أرى الجميع يعلمون ما بي، يرون أصابع الرجال على وجهي وعلى جسدي، جميعهم حاولوا التقرب مني، حتى بعد أن ارتديت حجابي لأمنعهم من النظر إليّ، لم يكفوا عن هذا يا أميرة، أخشى التقرب من فارس خوفًا من أن أرى وجوههم به هو، أراهم يلتهمونني مرة أخرى، ويتألم جسدي إثر ذلك، أنا على يقين بأنني سأراهم بوجه فارس، لن أحتمل هذا أبدًا، عندما يقترب مني لن أشعر به هو، بل هم وسيشتعل جسدي نارًا، أميرة، أنا أشعر بهذا الآن ولا أعلم ماذا عليّ أن أفعل!؟ فارس، لا ذنب له، لا ذنب له، لا ذنب له.

كانت تقول ذلك ودموع عينيها تسبق حديثها، تستمع لها "أميرة" في ذهول، فيتساقط منها الدمع رغمًا عنها على حال مريضتها، بينما هناك من يعتصر قلبها وجعًا، ويشتعل بجسدها النار على حال "لوسيندا" تقف خلسة خلف الباب تستمع لنحيب ابنتها، تتذكر كل ما حدث لها منذُ طفولتها، وما فعلته هي بها كردة فعل تجاه ذلك، لتدرك أنها كانت أقسى منهم عليها، ولم تعط لنفسها الفرصة لاستماعها، ولم تصدق حديثها أبدًا، بل كانت تقسو عليها أشد قسوة لتدرك الآن فقط أنها كانت السبب الرئيسي فيما آل إليه حال ابنتها قبلهم جميعًا، تذكرت قول الطبيبة التي قالت لها:

-"اطمئني، فلم يقترب أحد من بكارة ابنتك، ولكن أريني كيف ستداوي حالتها

النفسية إثر ذلك".

تذكرت كم كان ردها على تلك الطبيبة أشد قسوة، فانهارت بالبكاء خاصة عند تذكرها ما فعلته بابنتها ذلك اليوم مقرنة إياه بما تسمعه الآن من ردة فعل ابنتها تجاه ما حدث لها بعد ذلك، وإيثارها الإخفاء رغم كل ما تعرضت له من قسوة لتتحمل وحدها التبعات خشية مواجهة خاسرة، هي الآن لا تستطيع فعل شيء، تشعر بالعجز أمام حالة ابنتها، وبذات الوقت بداخلها شعور أم استيقظ بوقتٍ متأخر يدفعها للتدخل، ربما استطاعت محو ولو جزءًا بسيطًا من تبعات الماضي، قالت بشيءٍ من الغضب: لن أتركِكِ يا ابنتي، هكذا يجب أن يكون هناك علاج ليطيب قلبك.

وكان قرارها حاسمًا، فدلفت إلى الغرفة دون استئذان بعد أن مسحت دموع عينيها، ارتجفت "لوسيندا" عند رؤيتها لوالدتها ظنًا منها أنها ستنفعل عليها لتأخرها، وتقوم بتوبيخها كعادتها، ولكن ما حدث كان عكس ذلك تمامًا، اقتربت "ماجدة" من ابنتها وهي تتأملها بعينين دامعتين، وأردفت بنبرةٍ هادئة مليئة بالحزن:

ـ اعذريني يا ابنتي.

لم تفهم "لوسيندا" عن أي شيء تتحدث والدتها، لتقول بنبرة مرتجفة:

ـ عن أي شيء تتحدثين يا أمي!؟ إنها المرة الأولى التي أراكِ فيها تعتذرين.

ـ كان عليّ أن أطلب منكِ هذا منذُ سنوات عديدة يا ابنتي الحبيبة.

وضمتها إلى صدرها بقوةٍ وهي تبكي بشدة، كاد قلب "لوسيندا" أن يتوقف إثر ارتجافته.

فهي المرة الأولى التي تقوم بها "ماجدة" باحتضانها هكذا، كانت "لوسيندا" تنتظر هذا العناق منذُ طفولتها، ولكنه تأخر كثيرًا جدًا، ولكن ها هو يحدث في أكثر وقت تحتاج به "لوسيندا" هذا العناق الشديد من والدتها التي تعشقها وتخشاها كثيرًا، رغم كل ما حدث، قبضت "لوسيندا" يدها بقوة على ظهر والدتها تجذبها إلى

صدرها بقوةٍ وهي تردف قائلة بنبرةٍ مختنقة ودافئة جدًا:

ـ أنا أحبكِ يا أمي، أحبكِ كثيرًا.

ابتعدت عنها "ماجدة" وهي تنظر لابنتها بحبٍ وخوفٍ عليها في آنٍ واحد، لتستأنف "لوسيندا" حديثها:

ـ وأفتقد عناقكِ بشدة أيضًا.

لتبكي الأم بحرارة وهي تطلق الآهة من قلبها بحرقة، وتضم ابنتها ثانية بقوة بين ذراعيها وهي تقول بصعوبة بالغة في إخراج الحروف دون أن تبعد ابنتها عنها:

ـ ليتني عانقتكِ منذُ طفولتك هكذا يا ابنتي.. ليتني سمعت كلامها لعلِي كنت أنا من يطيب جراح قلبكِ.. ليتني أنا من تأذيت ولستِ أنتِ حبيبتي.. ليتني أنا يا قرة عين والدتك.. سامحيني.

ابتعدت عنها "لوسيندا" وهي تنظر لوالدتها بعينين مرتعشتين شديدتي الاحمرار، وهي تهز رأسها بالرفض وتردف قائلة بصوتٍ مرتجف:

ـ عما تتحدثين يا أمي أخبريني، أي جرحٍ تقصدين!؟ هيا أمي أجيبيني أرجوكِ؟

لم تتمالك الأم توازنها، فأسرعت إليها "أميرة" لتساندها مع "لوسيندا" وهي تضعها على طرف الفراش، تضع "ماجدة" يدها على قلبها وهي تقول لهما:

ـ أنا بخير يا بنتيّ لا تنزعجا.. أنا فقط سمعت حديثكما وأنا آتية إليكما منذُ قليل.

وضعت "لوسيندا" يدها على فمها وأجهشت بالبكاء، وابتعدت عن والدتها بخطواتٍ بطيئة إلى الوراء، لتمسك "ماجدة" بيد ابنتها وتجذبها إليها وهي تقول لها بثقة وبنبرةٍ قوية:

ـ اجلسِي يا حبيبتي، لا تخافِي، لن أقوم بمعاقبتكِ اليوم مثلما كنت أفعل.

فجلست "لوسيندا" أرضًا أمام والدتها، وأصبح رأسها مرفوعًا لها، فاستأنفت "ماجدة" قائلة:

ـ أنا من يجب أن ينال العقوبة هذه المرة يا صغيرتي.. ولست أنتِ، لذلك أطلب منك أن تسامحيني على ما فعلته بك منذُ صغرك حتى يومنا هذا، وربي حبيبتي أنا أحبك أكثر من نفسي، ولكن خوفي عليكِ كان غبيًا جدًا، وخوفي من المجتمع كان أكبر، كنت أجهل ما أفعله وأسأت التصرف، وكل ما كان برأسي هو أن أجعلك نصب عيني بكل شيء تفعلينه، لأكون جانبكِ دومًا.

جثت "لوسيندا" على ركبتيها وقامت بتقبيل ساق أمها، فأسرعت "ماجدة" بجذب ابنتها إلى أحضانها مرة أخرى وابتسمت لها لتطمئنها، وتخبرها أنها ستكون بجانبها كما تريد ابنتها، وليس كما تريد هي، فابتسمت "لوسيندا" بدورها ومسحت دموع عينيها وقبلت رأس والدتها متناسية جزءًا كبيرًا مما كانت تخشاه، بينما طمأنتها "أميرة" أيضًا، بعد أن جلس ثلاثتهن متبادلات أطراف الحديث أن جلسات العلاج بالفترة القادمة كافية لمحو كل شيء قبل الموعد المحدد لإتمام الزواج، على أن تحضر "ماجدة" بعض تلك الجلسات، وبينما هن كذلك.. دلف "كرم" إلى الغرفة وهو يقول:

ـ لما كل هذا التأخير فقد حضر المأذون؟

همست "لوسيندا" لوالدتها بصوتٍ حرصت أن يكون خفيضًا قدر الإمكان، بألا تخبر والدها بشيءٍ مما سمعته منها وما حدث منذُ قليل، فطمأنتها "ماجدة" بأن هذا لن يحدث أبدًا.

شعر "كرم" بشيءٍ يدور بينهما فاقترب منهما قائلًا:

ـ ماذا تقولان لبعضكما البعض!؟

لتجيب عليه "ماجدة":

ـ لا شيء، أنا أستعجلها فقط.

فضحك "كرم" بخبثٍ وهو يغمز لهمن بعينيه ويقول:

ـ ألا تعلمن أنني أعلم كل شيء عن تلك النصائح التي تقوم بها الأم في مثل هذا

اليوم!؟

لتضحك "ماجدة" عاليًا وهي تضربه بخفة على صدره، وتقبض "أميرة" على شفتيها بقوة لتمنع ضحكتها، بينما تنظر له "لوسيندا" وهي فاغرة فاها تغطيه بيدها قائلة:

ـ أبي، ماذا تقول!؟

ـ أنا لست سهلًا يا ابنتي..

قالها "كرم" وهو يمثل ضحكة عالية شريرة.. ثم ضمها بين ذراعيه وبارك لها وأسرع إلى الخارج قائلًا:

ـ سأرحل، لا أريد أن أبكي اليوم.

فضحكوا جميعا واقتربت "ماجدة" من ابنتها لتضمها قبل أن ترحل هي الأخرى، أتبعت ذلك بنظرة زادت من اطمئنان "لوسيندا" وأشعرتها لأول مرة بقوةٍ عجيبة أراحت قلبها كثيرًا.

مرت ساعة ونصف تقريبًا، وغادر المأذون بعد أن عقد قرانهما، اقترب "فارس" ليحتضن عروسه ولكنها صدته وهي تبتسم له، فابتسم "فارس" واكتفى بتقبيل رأسها وبارك لها، كانت "لوسيندا" ترتجف واشتعلت النار بجسدها عند لمس "فارس" ذراعيها وجذبه لها، لاحظ هذا في قربه ولكنه تجاهله لعدم إفساد يومهما، لتمر الساعات بالفرح على قلوبهم جميعًا عدا "زين" الذي - ورغم وجهه الهادئ - تقام داخله حربٌ صاخبة يتصدع صداها من عينيه، رغم محاولات إخفائه المستميتة، أما "لوسيندا"، فقد نسيت جزءًا كبيرًا مما كانت تخشاه، وكأن والدتها عالجت الشق الأكبر مما كانت تعانيه.

انصرف المدعوون واحدًا تلو الآخر، وأخذ "فارس" عروسه ليحتفلا سويًا بالخارج، وقبل أن ترحل ضمها كل واحد من عائلتها وصديقاتها، واقتربت منها والدتها دون أن تذرف الدمع في تلك المرة، ولكنها قامت بعناقها بدفءٍ شديد، وأردفت قائلة:

ـ أنتِ حقاِ فتاة قوية يا لوسيندا، يجب عليكِ أن تعلمي هذا جيدًا، أنا فخورة بكِ

كثيرًا حبيبتي.

ارتمت "لوسيندا" بين ذراعي والدتها وهي تبكي، ولكن "ماجدة" ابتعدت عنها قليلًا وهي ترفع رأسها عاليًا وأردفت:

ـ أنا لا أحب أن أرى دموع عينيك بعد الآن، واقتربت من ابنتها لتضع قبلة طويلة على رأسها.

ومن ثم رحلت "لوسيندا" مع زوجها، تحاول الهرب منه طيلة الطريق، وظلت تنظر إلى نافذة السيارة، وكأنها تراقب طريقها، لم يحاول "فارس" أن يزعجها، وظل شاردًا هو الآخر، حتى وصلا إلى المطعم الذي حجز به ليقضيا ليلتهما سويًا، نظرت "لوسيندا" إلى المطعم وهي فاغرة فاها، ثم نظرت له غير مصدقة أنه أتى بها إلى ذات المكان الذي تحبه وتقضي به أغلب وقتها، ابتسم لها "فارس" قائلًا:

ـ لقد جمعت بعض البيانات، وقمت بالتحريات الخاصة بي لأعلم عنكِ الكثير.

احمرت وجنتاها وهي تجيب عليه بأنها سعيدة جدًا لأنها هنا اليوم، مد "فارس" يده لها منتظرًا منها أن تضع يدها بيده، لاحظ عليها التردد.. فأردف قائلًا:

ـ لا تخافي لوسيندا، فأنا زوجكِ الآن.

حاولت الابتسام ومدت يدها لتضع أناملها بخفة على يده، فجذبها بخفة إلى الداخل، وهنا كانت مفاجأة أخرى، عندما وجدت مكانها الخاص بجانب النافذة الزجاجية الكبيرة محجوزًا لها، والطاولة مليئة بالورود الحمراء، والشموع مضاءة، وهناك علبة صغيرة مغلفة بورقٍ ملون يعلوه شريط من اللون الأزرق، جلست "لوسيندا" وهي تتأمل الطاولة في فرحٍ طفولي، فقال "فارس" مداعبًا إياها:

ـ أتحبين أن أطلب لكِ الطعام، أم ستختارين أنتِ؟

فكرت "لوسيندا" بأنه يعلم ما تحبه بكل تأكيد، وما سيطلبه سيكون من الأطعمة المحببة لها، فأجابت:

ـ سأجعلك أنت من تختار لي، لقد أسعدت قلبي الآن بما فعلته، وأنا على يقين

بأنك ستسعد معدتي أيضًا.

فضحك "فارس" قائلًا:

ـ لا تقلقي، فكل شيء مدروس بعناية شديدة.

طلب "فارس" الطعام وهو ينظر لها ويتأمل تفاصيل وجهها جيدًا وهي أمام عينيه، بينما كانت هي ترقب البحر والطريق عبر الزجاج، فطرق الطاولة بأنامله برفق ليجذب انتباه عينيها ويعيدها إلى عالمه، ثم سألها:

ـ ألم يجذب انتباهك شيء أعلى الطاولة؟

نقلت ناظريها على الطاولة سريعًا لتمسك بالعلبة، وتسأله بجذلٍ وكأنها لا تعرف:

ـ أهي لي؟

ليأخذها منها ويضعها أمامه قائلًا بنبرةٍ عصبية مزيفة:

ـ لا، إنها لي أنا.

تضحك على رد فعله وهي تأخذ العلبة من أمامه لتفتحها، فيمنعها قائلًا:

ـ لا تفعليها الآن، انتظري بعد تناول العشاء.

لتنظر له بغير فهم، فاستكمل حديثه:

ـ إن فتحتها الآن فلن تتناولي عشاءك، وهذا كل ما في الأمر.

أثار حيرتها وتركها لتخمن ما بها، وما الشيء الذي سيمنعها من تناول عشاءها، فجحظت عيناها عندما خمنت ما بداخل العلبة متسائلة، هل يمكن أن يكون تخمينها صائبًا؟ فأسرعت بفتحها لترى داخلها سلسلة فضية تحمل اسمها واسمه معًا، وعلبة أخرى بها الشوكولاتة التي تعشقها، فرحت "لوسيندا" بها كثيرًا، ومدت يدها لتأخذ منها وسرعان ما تبدلت ملامحها إلى العبوس، ونظرت له متسائلة:

ـ لما تفعل هذا!؟ ومن أخبرك عن كل ما أحب؟

لم يجب عليها ولكنه بادرها السؤال:

ـ أأنتِ غير سعيدة بما حدث!؟

أجابت مسرعة:

ـ بلى، ولكن أنت لما فعلت؟

تنهد "فارس" وهو يرجع إلى الوراء، ويحك أنفه قائلًا:

ـ أردت أن تكوني سعيدة فقط، ليس لغرضٍ آخر.

واقترب منها مرة أخرى وهو يهمس قائلًا:

ـ أعدكِ بأنني سأكون هنا لإسعادك فقط، لا أريدك سوى فتاة جميلة وسعيدة.

ارتسمت على ثغرها ابتسامة رغمًا عنها، وشكرته على ما فعله من أجلها.

أتى النادل ووضع أصناف الطعام أمام عينيها فزادت ابتسامتها وأردفت:

ـ مُتَوَقَّع أكيد.

فضحكا وشرعا في تناول طعامهما متبادلين النظرات، وبعض الأحاديث حول عملها من آنٍ لآخر، لينهي حديثه بإخبارها أنه سيقوم بزيارة الدار في الأسبوع المقبل، طالبًا منها أن تأتي معه لإحضار بعض الأغراض التي سيجلبها للأطفال، فوافقته "لوسيندا" على طلبه الذي زاد من فرحتها، كونه شخصًا عطوفًا يملك قلبًا طيبًا ويشعر بالآخرين.

الفصل الثامن

مرت بضعة أيام قليلة، كانت "لوسيندا" تبتاع ما ينقصها من تجهيزات العرس مع والدتها مرة، وصديقاتها مرة أخرى، وأثناء تجولها مع "ليلى" و"أميرة"، دخلن إلى أحد المطاعم، وجلسن يتحاورن فيما وصلت له "لوسيندا"، حتى قالت "لوسيندا" وهي تتلعثم بالقول:

ـ أنا لم أتوقع أنني سأكون في مثل هذا الموقف أبدًا، كنتُ أضحك على "ليلى" حين تحادثني لتخبرني أننا سنقوم بشراء بعض المستلزمات الخاصة بزواجها، والآن أنا من تحادثها لتصحبني لشراء ما أحتاج.

تشاركن الضحكات وأردفت "ليلى" قائلة:

ـ كنت أرغب أن تتزوجي بنفس يوم زفافي لنقيم حفل زفافنا معًا، وها أنت تسبقينني بشهورٍ قليلة.

لتجيب عليها "لوسيندا":

ـ أنا لو بإمكاني لأجلت الموعد لنفعلها سويًا.

لتعقب "أميرة" على ردها مراوغة قائلة:

ـ لا داعي للتأجيل، أم أنكِ لا تريدين أن تتم تلك الزيجة منذُ البداية؟

لو غيرتِ رأيكِ أخبريني، وسأخبر فارس بأني مستعدة للقيام بدور العروس.

لتضحك الفتيات بينما تجيب "لوسيندا" بثقةٍ عالية:

ـ لا، لو لم أردها لما وافقت عليها منذُ البداية، لن أنكر أن فارس رجلٌ طيب حنون، وليس بداخلي أي خوف منه، إنما الخوف يتعلق بما يخبئه لي مستقبلي معه، أما عنه هو، فهو شخصٌ يتسم بخفة الدم والحنان، وأرى أنه يحاول إسعادي دومًا

دون أن ينتظر مني شيئًا، أعتقد هذا يكفي الآن.

لتجيب عليها "أميرة" وهي تربت على يدها:

ـ يكفي حبيبتي، يكفي أنه يريد إسعادك حقًا دون مقابل منك، إنه شخص تتمناه أي فتاة يا "لوسيندا" لا تخسريه.

فابتسمت "لوسيندا" وهي تومئ برأسها:

ـ لن أفعل.

****

تجلس "ماجدة" أمام التلفاز تشاهد فيلمًا قديمًا، بينما "لوسيندا" بالمطبخ تصنع أكوابًا من العصير، وبعد أن انتهت دلفت لغرفة أخيها، الذي كان يمارس بعض تمارين رفع الأثقال بغرفته، وضعت كوبًا من العصير أعلى مكتبه، لينظر لها "ليام" خلسة قائلًا:

ـ كيف حالك الآن يا ذات الوجه المضيء؟

لتتراجع "لوسيندا" إلى الوراء بعد أن تقدمت إلى باب غرفته، وتجيبه بنبرةٍ هادئة:

ـ أنا بخير حال يا حامي ذات الوجه المضيء، لا تقلق عليّ.

ـ لستُ قلقًا عليكِ فأنا أثق بكِ جيدًا، ولكني أسأل عن حال قلبك؟

احمرت وجنتاها، وتلعثمت بالقول وهي تجيب عليه بنبرةٍ مرتعشة:

ـ ما دام هو بخير حال، فأنا سأكون بخير حال أيضًا يا ليام.

اقترب منها وهو يأخذ الصينية من بين يديها ويضعها أعلى مكتبه، ويمسكها من ذراعيها قائلًا:

ـ هل فعل فارس ما يمكن أن يزعجك في الفترة الماضية؟

أجابت دون تفكير:

ـ لا، إنه شخصٌ رائع بالفعل، ويحاول إسعادي دائمًا، وأنا أشعر بالارتياح تجاهه وتجاه ما يفعل.

ابتعد عنها بخطواتٍ بطيئة وهو يمد يده يلتقط كوب العصير قائلًا:

ـ هذا ما يهمني، ولكنِ أريد إخبارك بشيء.

وارتشف بعضًا من العصير، وهو يثني عليها ويشكرها على صنعه، ثم أردف:

ـ أنا عائدٌ إلى القاهرة بعد بضعة أيام من زفافك لأستكمل عملي هناك.

قطبت "لوسيندا" حاجبيها وهي تقول بنبرةٍ حزينة:

ـ ستتركني!؟

ضمها "ليام" إلى صدره وهو يقول محاولًا طمأنتها:

ـ لن أتركِكِ يا حبيبتي، سأكون أمام عينيكِ كل عطلة رسمية، أعدكِ بذلك.

قالت "لوسيندا" وهي بين ذراعيه:

ـ أنا أشعر بالضعف في غيابك يا أخي.

ليرتجف قلب "ليام" من قول شقيقته قائلًا:

ـ أنتِ فتاةٌ قوية حبيبتي، قلبك لا يعرف الضعف أبدًا، أنا أشعر بذلك، وتزدادين قوة بوجودي لكني مضطر، فسأكتفي بقوتك في غيابي وحين أعود إليك سأزيدك.

ابتسمت "لوسيندا" وهي تتمتم بالدعاء لأخيها، وأخذت العصير وذهبت إلى والدتها، لتجدها غافية وبيدها جهاز التحكم بالتلفاز، وقفت تتأملها في حب.. ثم وضعت العصير أعلى الطاولة ببطءٍ كي لا تزعج والدتها، وذهبت إليها ومددت جسدها بهدوء جانبها واضعة رأسها أعلى ساقيها، شعرت بها "ماجدة" فعدلت من جلستها، ومددت جانب ابنتها لتأخذها بين أحضانها.. فابتسمت "لوسيندا" لردة فعل والدتها وقبضت على يد أمها التي أحاطتها بذراعيها.

دلف "كرم" و"لبنى" إلى المنزل وهو ينادي عليهم.. فلم يجب أحد، ليدخل "كرم"

غرفة الجلوس فيجد التلفاز مضاء كما هو و"ماجدة" نائمة على الأريكة المقابلة، وبأحضانها كانت تغفو "لوسيندا"، فابتسم لما رأت عيناه، وأخرج هاتفه من جيب بنطاله والتقط لهم صورة تذكارية واحتفظ بها، إنها المرة الأولى التي يجد زوجته تفعل هذا مع ابنته، لم يمانع نفسه واقترب منهما ليضع قبلة على وجنتيهما، لتقف "لبنى" تراقبهم.. بينما خرج "ليام" من غرفته ليجد والده يجلس جانبهما وهو يضع ذراعيه فوقهما، فابتسمت "لبنى" لهم وأخرجت هاتفها هي الأخرى لتلتقط صورة أمامية، وهي تقف بعيدة عنهم قليلًا، ويقف "ليام" خلفهم يتأملهم في صمتٍ وهو مبتسم.

****

دخل "فارس" و"لوسيندا" إلى الدار بعد أن ابتاعا كل ما يلزم للأطفال، توجه "فارس" إلى الممر المؤدي إلى غرف الأطفال، ولكن "لوسيندا" استوقفته ليأتي إلى غرفة مكتبها أولًا، نظرًا لأن هذا الوقت هو وقت تناول الأطفال لفطورهم، فذهبا سويًا إلى غرفة المكتب، رفعت "لوسيندا" الهاتف تطلب حضور إحدى المربيات، فأسرع يخبرها قبل أن تغلق الهاتف، أريد القليل من القهوة، لتبتسم له "لوسيندا" قائلة:

ـ إنها ليست من عمال البوفيه، أنا سأصنع لك القهوة هنا.

وأشارت لركنٍ صغيرٍ به كل ما يلزم لتحضير المشروبات، ثم أخبرته أنها إحدى المربيات المسؤولات عن الأطفال، وتريدها أن تأخذ هي الأغراض لتعطيها لهم.

اعترض "فارس" وقال بنبرةٍ عالية قليلًا:

ـ لا، أنا من سأوزع عليهم الهدايا بنفسي، هل لديكِ مانع؟

ثم أردف مسرعًا، أريد أن أشاهد ردة فعلهم وأشاركهم لحظات السعادة..

وضعت "لوسيندا" سماعة الهاتف وهي تنظر له بعينين ملأتهما الابتسامة من ردة فعله الطفولية بعض الشيء، وكأن أحدهم أخذ لعبته المحببة عنوة، وأجابت:

ـ لا، ليس لدي مانع، أنا فقط لا أريد أن أشق عليك، يكفي ما قمت به.

فأجابها مبتسمًا:

ـ لا توجد مشقة، وسأكون سعيدًا جدًا عند رؤيتي الفرحة بأعينهم بنفسي.

ـ حسنًا، بعد أن تحتسي قهوتك سنقوم بتوزيعها معًا.

قامت "لوسيندا" لتصنع القهوة بينما كان هناك من يطرق باب غرفة المكتب، فسمحت "لوسيندا" للطارق بالدخول، فإذا بها "نادين" تهرول إليها تحتضنها معاتبة إياها على غيابها، لتعتذر منها "لوسيندا" وتخبرها بما أحضرته لها، فقالت "نادين" بفرح:

ـ أين هي؟ أريد أن أراها، هيا.

أشارت "لوسيندا" نحو فارس، قائلة:

ـ هو من أحضرها لكِ.

ثم وجهت حديثها له قائلة:

ـ هيا أعط "نادين" ما جلبت لها.

تقدمت إليه "نادين" وهي تسأله:

ـ هل حقًا أحضرت لي ما طلبته منك في المرة الماضية.

ليتناول "فارس" حقيبة الهدايا وهو يفرغها أمام عينيها قائلًا:

ـ ها هي يا حبيبتي، ما رأيكِ بها؟

جحظت عيناها وهي تتمتم غير مصدقة:

ـ إنها جميلة وغالية جدًا.

قال "فارس":

ـ لن تكون أغلى منكِ يا جميلتي، أريدكِ أن تصنعي لي شيئًا، اتفقنا؟

لتجيب "نادين" مسرعة:

ـ هذا ما أنوي فعله حقًا.

نظر "فارس" إليها بتمعنٍ قائلًا:

ـ أنتِ مدينة لي بشيء، وأنا أريده منكِ الآن.

لتبتسم له وقد تذكرت ما أخبرته به في الزيارة السابقة، فارتمت بين ذراعيه قائلة:

ـ أنت تستحقها، فأنا أحبك كثيرًا الآن.

ضمها "فارس" إلى صدره بقوة مغمضًا عينيه، وهو يخبرها بأنه هو من يحبها أكثر، حاولت "نادين" الإفلات منه لكنه لم يتركها، مخبرًا إياها:

ـ ابقي معي قليلًا.

كانت "لوسيندا" قد انتهت من إعداد القهوة، فرآها وهي تضعها أمامه.. فترك "نادين" مسرعًا قائلًا لها:

ـ سأنتظر شيئًا من إبداعاتك.

قبلته "نادين" وهي تأخذ أغراضها بعجلٍ وشكرتهما كثيرًا، وأخبرت "لوسيندا" بألا تتغيب عنها مرة أخرى، فأجابت "لوسيندا" وهي تقبلها بأنها ستأتي إليها دومًا لتراها.

ارتشف "فارس" قهوته، وهو يسأل "لوسيندا" عن سبب عملها بهذه الدار رغم دراستها للحقوق..

أجابته وهي تفتح جهازها:

ـ إنها تحب الأطفال كثيرًا ولا تمل منهم، وتحب أن تقضي أغلب وقتها معهم، تراهم أطهر وأنقى القلوب بالعالم، ولذلك هي تعمل هنا من قبل إنهاء دراستها حتى.

وضع فنجان القهوة أعلى المكتب وهو يثني على حديثها، ويخبرها أنه أيضًا كذلك.

لتجيب عليه وهي تغلق جهازها وتنظر له:

ـ لاحظت ذلك.

قامت من جلستها وهي تقول له:

ـ هيا بنا لنقوم بتوزيع الهدايا إذن.

تلعثم "فارس" بالقول وهو يخبرها بأنه تذكر موعدًا هامًا ولابد أن يذهب فورًا، وطلب منها إعادة طلب المربية لأخذ الأغراض.

ابتسمت له وهي تومئ رأسها بالإيجاب وتشكره على ما فعله، فاستأذن منها ورحل..

****

اقترب موعد زفافهما، وزاد "فارس" من تكرار زياراته للدار، وهذا مما جعلها تطمئن له أكثر، وتراه شخصًا حنونًا عطوفًا، تشعر وكأنه مثل الأطفال الذين تتعامل معهم، لن ينساها أبدًا، دائمًا يحضر لها الهدايا، ويصنع لها المفاجآت، مما جعلها تخبر "أميرة" بأنها تريد أن تنهي علاجها قبل الزفاف، لتجيب عليها "أميرة" بأن هذا صعب الحدوث، ولابد وأن تتريث جيدًا في جلساتها وأنها ستكمل علاجها بعد الزواج أيضًا، ولن تتركها تواجه شيئًا وحدها، بل ستكون دومًا جانبها، فأخبرتها "لوسيندا" بأن داخلها خوفًا كبيرًا من أن يحدث شيء يجعلها تخسر فارس بعد أن ارتاحت له كثيرًا، وشعرت معه بالأمان، فطمأنتها "أميرة" بأن ذلك لن يحدث، وأن كل ما يهم الآن هو أن تهتم بتجهيزات العرس وألا تشغل بالها بأي شيءٍ آخر.

مر أقل من شهرين وتم حجز الفندق الذي سيقام به حفل الزفاف، كانت "لوسيندا" حينها على غير عادتها فقد أصبحت أكثر نشاطًا وثقة بنفسها، وكأنها عادت طفلة مرة أخرى، أما "فارس" فكان يفعل كل ما يخبره به "ليام" ليتقرب منها أكثر، وحدث هذا فعلًا، وما خطط له "ليام" و"فارس" كان في صالح "لوسيندا"..

أتى اليوم المنتظر وتزينت "لوسيندا" وارتدت فستان زفافها وزاد جمالها بلمساتٍ تجميلية بسيطة كما أرادت أن تكون، دلفت إليها والدتها وتأملت ابنتها الكبرى

بعينين دامعتين، حتى لاحظت "لوسيندا" وجود والدتها فاقتربت منها وهي تضمها بين ذراعيها بفرح، فزادت الأم من احتضانها قائلة:

ـ لم أتخيل أنني سأعيش حتى أراكِ عروسًا جميلة هكذا.

لتمسح "لوسيندا" دموع والدتها بأنامها الرقيقة قائلة:

ـ أعلم أنكِ عانيتِ معي كثيرًا يا أمي، وأعلم أيضًا كم تحبينني، وأنا أيضًا أحبكِ كثيرًا، حتى ولو لم أكن أعرف كيف أظهر لكِ هذا، كنا دومًا في شجار دائم، ورغم كل ما كان يحدث كان هناك شيء داخلي يخبرني أنكِ تحبينني وتخشين عليّ أن يصيبني أي مكروه، أنا لم أغضب منكِ أبدًا يا أمي، فلا تلومي حالكِ وتعالي ننسى كل ما فات، كنتِ وما زلتِ خير الأم والأخت والصديقة، أحبك يا أمي.. أحبك جـدًا.

لتشرع والدتها بالبكاء ولا تعرف ماذا تقول بعد ما سمعته، ولكنها اكتفت بضم ابنتها والدعاء لها.

أتى "ليام" لاصطحاب "لوسيندا" ولم يستطع السيطرة على دموع عينيه عند رؤيته لشقيقته بردائها الملائكي، فقبل رأسها طويلًا وضمها إلى صدره وهو يخبرها كعادته دومًا، بأنه لن يتركها أبدًا ومهما طالت المسافات بينهما فهو أقرب إليها من نفسها، ابتسمت له "لوسيندا" وهي تردف:

ـ أحبك يا أخي.

ليخبرها أن حبه لها أقوى من كل ما يعتمل برأسها.

وبينما هما كذلك دلف "كرم" إلى الغرفة يستعجل "لوسيندا"، ويود اصطحابها إلى زوجها بنفسه ليعترض "ليام" قائلًا:

ـ بل أنا من سيوصلها له.

فاعترض "كرم" قائلًا:

ـ بل أنا من سيوصل ابنتي لزوجها.

تقدم "ليام" وهو يمسك بذراع "لوسيندا" قائلًا:

ـ هيا بنا، أنا من سأوصلك.

ليقترب منهما "كرم" قائلًا:

ـ أنا والدكِ حبيبتي، تعالي معي أنا من سأوصلك.

لتضحك "ماجدة" عليهما قائلة:

ـ إن لم تتفقا سأوصلها أنا.

نظر "كرم" و"ليام" إلى بعضهما البعض، فأمسكت "لوسيندا" بيديهما معًا وقالت:

ـ أنا من ستقوم بإيصالكما إذن.

ثم وقفت بينهما ووضعت يدها بين يديهما وتعانقت أصابعهم سويًا، قبض "ليام" على يد شقيقته بقوة، وهو يخبرها بأنه يشعر وكأن روحه تفارقه الآن، وستكمن بجسد غيره.

نظرت له "لوسيندا" بدموع عينيها وهي تتقدم نحو الدرج بخطواتٍ بطيئة قائلة:

ـ أنا أشعر وكأنني بِحُلم لم أحلم به طيلة عمري كباقي الفتيات وسينتهي عندما أستيقظ، وسأعود إليك من جديد.

فأسرع يطمئنها قائلًا:

ـ لا تقولي هذا حبيبتي، ستعيشين أجمل أيام حياتك برفقة زوجك، فهو طيب القلب ويحبك جدًا، ولن تجدي مشقة برفقته، صدقيني.

وصلا إلى أسفل الدرج، وكان "فارس" يقف بانتظارها وبجانبه "فريد" وخلفه يقف "مروان" و"زين" الذي اشتعلت النيران بعينيه عندما رأى حبيبته بيد رجلٍ غيره، حاول السيطرة على نفسه قليلًا وابتعد عنهم حتى يهدأ.

بينما وقف "كرم" أمام ابنته يتأمل وجهها، قائلًا وهو يكتم دموع عينيه، لكن نبرته تشرح كل ما بداخله:

ـ كنت أود شكرك على كل شيء، أريد أن أشكرك على ما فعلتِه من أجلي وما تفعلينه حتى الآن، أود أن أخبرك بأنكِ مهما كبرتي ستظلين أمام عيني طفلتي الصغيرة، فكنتِ دومًا ابنة بارة بأبيها، كنتِ وردة في بستان منزلي، أخشى الرجوع حقًا إلى المنزل دونك، ولكني في غاية السعادة كونكِ أصبحتِ زوجة جميلة لرجلٍ طيب خلوق مثل "فارس".

قدم يد ابنته لزوجها وهو يوصيها عليه، وكانت "لوسيندا" حقًا تشعر وكأنها داخل حلم جميل، تترك الأحداث تجري كما هي وتنظر لها دون تعبير، مرت ساعات قليلة وانتهى الحفل على خير، وأخذ "فارس" عروسه إلى منزله.

وعندما أغلق باب شقته، أسرعت "لوسيندا" إلى غرفتها تغلق عليها الباب بعناية، طالبة منه ألا يدخل الآن، متعللة بأنها تريد أن تنفرد بنفسها قليلًا، لم يمانع ذلك، ووافقها على طلبها، وذهب هو إلى الغرفة المجاورة وظل بها طوال الليل، وحتى هي لم تتجرأ على أن تفتح الباب لتراه واكتفت بقضاء ليلتها في غرفتها، ظلت بضع ساعات مستيقظة، تلتف حول نفسها داخل الغرفة، أما هو فذهب في سبات عميق.

بدأت الشمس في شروقها وامتلأ منزل "لوسيندا" بدفء حرارتها رغم برودة الطقس في فصل الشتاء، ولكنه كان يومًا هادئا ودافئا بالنسبة لها، خاصة وأنها اطمأنت أكثر، لما فعله "فارس"، لم تنم "لوسيندا" بقدرٍ كافٍ، ورغم هذا كانت بحالة جيدة، خرجت من غرفتها وهي تبحث عنه بأرجاء المنزل فلم تجده، انتابها شيء من الخوف، وظلت تنادي عليه عله يختبئ منها ليفاجئها، وعندما تيقنت من عدم وجوده أسرعت إلى غرفتها تبحث عن هاتفها، فإذا برسالة منه يخبرها أنه نزل مبكرًا لإنهاء موعد خاص بالعمل، معتذرًا منها كونه كان مضطرا لمغادرة المنزل صبيحة ليلة عرسهما، واعدًا إياها أنه سيعود بأسرع وقت، تنفست "لوسيندا" الصعداء، وذهبت لتأخذ حمامها الصباحي، وهي تفكر فيما يمكن أن يشغله لهذه الدرجة التي تجعله يغادر منزله باكرًا صبيحة ليلة عرس، ومن ثم ذهبت لتحضير كوب من النسكافيه، وهي تتجه نحو المكتبة الخاصة بها والتي صنعتها أثناء تجهيزات

المنزل لتضاهي مكتبة والدها، التي كانت ولا تزال أول رفيقاتها بما تحويه من كتبٍ وروايات، نظرت لما اقتنته من كتبٍ وروايات بحب، ثم اختارت كتابًا مميزًا من بينهما، وقبل أن تشرع في قراءته، صدر صوت رنين هاتفها، كانت والدتها هي من تتصل بغية الاطمئنان عليها، وكأي أم قامت "ماجدة" بطرح الأسئلة المعتادة في مثل هذا التوقيت، فأخبرتها "لوسيندا" بما حدث معها وما فعله "فارس"، فاطمأنت الأم على حال ابنتها، وكأي أم أيضًا راحت تحاول إعطاءها بعض النصائح محذرة إياها أن تكرر ما فعلته أول ليلة، وأضافت بأن فارس رجلٌ خلوق للدرجة التي منعته من الغضب جراء دلالها المفرط، محذرة إياها أنه لا يجب عليها التمادي بدلالها كونه متفهمًا جدًا، استمعت "لوسيندا" إلى والدتها وهي تعدها بأن تحاول، وأنهت الاتصال لتبحث بعد ذلك عن رقم "فارس" وتقوم بالاتصال به، لكنها لم تتلق الرد، فتركت هاتفها ظنًا منها بانشغاله للحد الذي يمنعه من الرد عليها مباشرة، وهو ما لم يفعله معها من قبل، نحت قلقها جانبًا وارتشفت القليل من النسكافيه ثم شرعت في قراءتها للكتاب.

مرت أكثر من ساعة وأتى "فارس" وبيده العديد من الأغراض التي جلبها مع "اليام" لـ "لوسيندا"، وكانت عبارة عن الكثير من الحلوى التي تحبها وبعض من الكتب، وأغراض أخرى للأطفال بالدار.. ارتبكت "لوسيندا" قليلًا عندما سمعت صوته بالخارج، فأسرعت إليه تعاتبه على مغادرته للمنزل دون أن يعلمها بذلك، ليجيب عليها وهو يضع ما بيده أعلى الطاولة:

ـ أنا فقط لم أشأ إيقاظك، وظننت أن مفاجأتي ستسبق شمس عينيك، ولكنكِ أفشلتِ خطتي وتركت الشمس تشرق دوني.

ضحكت "لوسيندا" واحمرت وجنتاها خجلًا وهي تقترب من الأغراض، وتعبث بها وتخبره بأنها معتادة على الاستيقاظ بوقتٍ مبكر، وأنها لم تنم بشكلٍ كافٍ أيضًا.

فداعبها قائلًا:

ـ إذن ستفشلين الكثير من خططي بالمرات القادمة!؟

صرخت "لوسيندا" وصفقت بجذلٍ طفولي عندما رأت الشوكولاتة والكتب، وبعض من الهدايا التي تعشقها وهي تردف قائلة:

ـ هذا كله لي أنا!؟

ابتسم "فارس" وهو يقول لها:

ـ فلا مانع إن جعلتني أشاركِ في أكل الحلوى.

ضمتها إلى صدرها وكأنها تحمي أطفالها من هجوم الوحوش، وقالت:

ـ ولما لا تجلب لك أيضًا بعضًا منها!؟

اقترب منها "فارس" وهو يبتسم لها قائلًا:

ـ أنا بالفعل جلبت لي، ولكنكِ تطمعين بها وحدك.

ازداد احمرار وجنتيها وهي تمد له يدها بقطعة من الشوكولاتة وأردفت:

ـ هذا يكفي لك.

ضحك "فارس" وهو يتجه نحو المطبخ قائلًا:

ـ أنا لا أريد الحلوى حبيبتي، ولكني أتضور جوعًا، هيا إذن أريني كيف ستحضرين فطورًا هائلًا لزوجك.

دلفت خلفه وهي مبتسمة تتورد وجنتاها بالخجل بعد أن ناداها بحبيبتي، والآن يذكرها بأنه زوجها، لكي ترفع الحرج وتفتح له بابًا للدخول إلى قلبها، صنعا سويًا إفطارًا جميلًا يليق بهما كعروسين، تعمد لمسها من حينٍ لآخر وكأنه لم ينتبه، فكانت ترتجف إثر ذلك، ورغم أنها بدأت تشعر معه بأريحية إلا أن هناك ما يمنعها أن تسلم له مشاعرها بشكلٍ كافٍ. وأثناء تناولهما ما أعدا من طعام فاجأها "فارس" بأنه خطط للسفر معها لقضاء إجازة طويلة بأي مكانٍ تختاره، لتنظر له وهي فاغرة فاها غير مصدقة بأنه فعل هذا حقًا، وعندما سألته:

ـ متى تنوي السفر؟

أجاب:

ـ بعد ثلاثة أيام، ليوافق سفرنا يوم مولدك، وسنحتفل به معًا بأي مكان يأتي ببالك الآن.

دمعت عيناها من فرحتها بما يفعله "فارس" من محاولاتٍ لا تنتهي لإسعادها، وتذكرت مكالمة والدتها، فأرادت أن تعتذر له، وحين جمعت شجاعتها أخبرته:

ـ فارس، أنا حقًا آسفة على ما حدث ليلة أمس.

ترك فارس طعامه، وهو يجيبها:

ـ عن أي شيءٍ تعتذرين!؟

زاد ارتباكها، وهي تتلعثم بالقول، لإحراجها وأردفت:

ـ لأنني لم أكن... أقصد يعني... أنني لم أجعلك...

قاطعها "فارس" ليزيل عنها الحرج قائلًا وهو يبتسم لها:

ـ لا داعي للاعتذار، أنا متفهم جدًا ما تمر به أي عروس، وسأتركك على راحتك، وسأكون جانبك حتى يأتي اليوم الذي تسمحين لي فيه بالاقتراب منكِ دون خجلٍ أو توتر، أما الآن، فسأكتفي بابتسامة عينيك وتورد وجنتيك كلما اقتربت منكِ أو حادثتك، فهما رفيقتاي تخبراني بمكاني ومكانتي داخل قلب زوجتي.

ابتسمت "لوسيندا" بسعادة، بينما علا اللون الأحمر وجنتيها خجلًا، كانت تود شكره على تفهمه لكن كلماتها خرجت متلعثمة مرتبكة جراء ما سمعته، ليردف وهو يمضغ طعامه وكأن شيئًا لم يكن:

ـ لا داعي للشكر "لوسيندا"، فأنت مثل زوجتي ويجب علي تحملك.

فضحك الاثنان وأكملا طعامهما، وهي تتأمله من حينٍ لآخر.. وتذكرت ما جلبه للأطفال لتتساءل:

ـ متى تود الذهاب لإعطائهم تلك الهدايا؟

فأجابها:

ـ قبل سفرنا مباشرةً حبيبتي، هل لديكِ مانع!؟

هزت رأسها بالرفض وهي تقول:

ـ أنا فقط أخشى أن يعتادوا على هذا، ثم يأتي ما يمنعك من الذهاب إليهم أو إعطائهم ما اعتادوا من هدايا، بعد عودتك لعملك.

طمأنها "فارس" بأنه لن يحدث أبدًا، وأخبرها بأن "ليام" سيأتي لزيارتهما اليوم قبل سفره، كان الخبر كفيلًا بجعلها تفقد شهيتها، فالتزمت الصمت وتبدلت ملامحها حتى لاحظ "فارس" عليها الضيق، فأخبرها متفهمًا محاولًا التخفيف عنها بأنه من الممكن أن يقضي ثلاثتهم اليوم بالخارج ليكون يومًا مميزًا، ظنًا منه أن العرض سيسعدها، لكنها أجابت بنبرةٍ أكثر هدوءًا دون أن تتبدل ملامحها:

ـ لا داعي للخروج اليوم، فمن الغالب أن تأتي أمي وأبي لزيارتنا الليلة.

فما كان منه إلا أن أجابها مداعبًا إياها:

ـ حسنًا حبيبتي، سأضع الأطباق داخل المطبخ وأصنع لكِ فنجانًا من القهوة، أحلى من القهوة التي صنعتها لي أنتِ بالدار.

ابتسمت "لوسيندا" رغمًا عنها، وراحت تخبئ وجهها بين يديها ليردف لها قائلًا:

ـ سوف ترين، وتحكمين بنفسك.

****

الفصل التاسع

مر اليومان على "فارس" و"لوسيندا" مرور الكرام، وأصبحت علاقتهما أقوى مع والدتها وزوجها، وكأن الله عوضها عما عانت طوال حياتها، في صباح اليوم الثالث لهما دلفت "لوسيندا" لتأخذ حمامها الصباحي، لتستعد للذهاب إلى الدار، خرجت وهي ترتدي روبًا قصيرًا باللون الأبيض يكشف عن ساقيها، وتجفف خصلات شعرها الطويل غير مكترثة بمن يقف يتأملها، رفعت رأسها لتجده أمام عينيها، فاحمرت وجنتاها خجلًا، كانت شاردة الذهن مما سمح له أن يراها للمرة الأولى هكذا.. اقترب منها وأبعد خصلات شعرها المبتلة عن وجنتيها يتخللها بأنامله ليصبح وجهها بين كفيه، لم تتجرأ على الابتعاد عنه، ولا سمحت بالاقتراب، فقط نظرات تتحدث في صمتٍ صاخب، جذبها إليه وضمها بين ذراعيه برفق، فأراحت رأسها على صدره للمرة الأولى دون خجلٍ أو توترٍ أو ارتجاف، فقط نوعٌ خاص جدًا من الطمأنينة لم تعتده من قبل، يتسلل إلى خلاياها فتلتمس المزيد.

ظلت هكذا لدقائق قليلة، حتى أبعدها هو عنه بلطفٍ مقبلًا وجنتيها.. أغمضت عينيها وبدأ صدرها يعلو ويهبط وكأنها في سباقٍ غير مصدقة ما حدث، اقتربت شفتاه من رقبتها فلمسها بدفءٍ شديد وابتعد قليلًا ليتأملها ولكنها ثبتت على حالها، ولم تشعر به وهو ينظر لها، فهمس جانب أذنيها باسمها، ففتحت عينيها ببطء ولم تتفوه بكلمة واحدة، لكنها أسرعت إلى داخل الحمام مرة أخرى وأغلقته، وظلت تنظر عليه من الداخل وكأنها تراه، ليأتيها صوته من الخارج مداعبًا:

ـ قلت لكِ أول أمس سأعتبرك مثل زوجتي فلا داعي للحرج، وهيا لأنني أريد استخدام الحمام.

قالها "فارس" وهو يضحك، فابتسمت "لوسيندا"، واقتربت من المرآة ونظرت

إلى وجهها وظلت تتأمله.. وتضع يدها على موضع شفتيه، فازداد تورد وجنتيها، والتمعت عيناها.

****

بداخل الدار وقبل أن تذهب "لوسيندا" إلى غرفتها، اتجهت نحو الحديقة التي يمكث بها الأطفال، ووقفت أعلى الدرج تنادي عليهم ليأتوا واحدًا تلو الآخر لاستلام هداياهم، كان "فارس" بجانبها يبحث عن "نادين" ولم يجدها، فسأل "لوسيندا" عنها لتجيبه:

ـ لابد وأنها بداخل غرفة الأنشطة، سنذهب إليها فور انتهائنا.. ليسألها ثانية عن مكان الغرفة؟

فأشارت إلى ممر يحجبه بابٌ حديدي بجانب الحديقة، وأخبرته بأنه هناك.. ثاني باب في هذا الممر.

فقال لها:

ـ إذًا أنا سأسبقكِ إلى هناك.

نظرت له وقبل أن تجيبه كان قد رحل بعيدًا عنها، لم تكترث "لوسيندا" وأكملت توزيع الهدايا، بينما "فارس" كان يدلف إلى غرفة الأنشطة ليجد "نادين" مع مجموعة من الفتيات، تمارس كل منهن هوايتها المفضلة، وكانت "نادين" تقص بعض الأقمشة، وتصب تركيزها كله في عملها لا تشعر بمن حولها، حتى اقترب منها "فارس" وهو يحمل حقيبة صغيرة بها بعض أدوات الحياكة بجميع ألوانها ووضعها أعلى القماش الذي تعمل به، غضبت "نادين" وقبل أن تنطق وجدته هو، فابتسمت له وهي تردف قائلة:

ـ كدت تفسد تصميمي يا "فارس"، رجاءً لا تخبر أحد أني استخدمت المقص خلسة، فمن المفترض أن تستخدمه المشرفة فقط أو أستخدمه أنا بحضورها لقص القماش، خشية أن أجرح حالي دون أن أنتبه، للأسف لا أحد يدرك أني كبيرة بالقدر الكافي لصنع تصاميمي بنفسي.

ليقترب منها "فارس" ويقبل وجنتيها قائلًا:

ـ لا أقدر على إفساد ما يخص جميلتي، أنا فقط جلبتُ لكِ هدية صغيرة، وأنا على يقين بأنها ستعجبكِ كثيرًا واطمئني، لن أخبر أحدًا.

فتحت "نادين" العلبة لترى ما بداخلها، وأفرغته أعلى الطاولة وهي تنظر له بفرحٍ قائلة:

ـ إنها خيوطٌ بألوانٍ كثيرة، وبعض الأدوات التي لا أملك منها شيئًا.. حقًا سأصنع الكثير من التصاميم التي حلمت بها الآن.

نظرت له وهي تشكره، لتراه باسطًا ذراعيه لها.. فارتمت بينهما وهي تضمه وتخبره كم تحبه كثيرًا لأنه يحقق لها كل ما تتمني، فضمها بقوة أكبر ويده تتحسس ظهرها، لتصرخ "نادين" بفرحٍ عندما رأت "لوسيندا" وهي تقول أتت حبيبتي، فتركها "فارس" واقترب من "لوسيندا" وهي ترفع "نادين" على ذراعيها، وتسألها عن رأيها فيما جلب لها "فارس" من أقمشة وأدوات تساعدها في التصاميم الخاصة بها.

ثم أردفت:

ـ لدي عندك شالٌ صغيرٌ كما أخبرتني من قبل، ومن الواضح عليكِ أنك نسيتني!

لتهمس "نادين" بأذنها بشيء، فضحكت "لوسيندا" قائلة:

ـ حسنًا سأنتظرهما سويًا.

نزلت "نادين" واتجهت نحو الطاولة وهي تختار ألوانًا وتريها لـ "لوسيندا"، فأومأت "لوسيندا" رأسها بالإيجاب مبتسمة لتعود "نادين" إلى الطاولة مرة أخرى وتشرع بعملها من جديد.

جذبت "لوسيندا" فارس من ذراعيه، واتجهت خارج الغرفة قائلة:

ـ أراك متيمًا جدًا بالأطفال، وخاصة "نادين".

ارتبك لقولها وهو يخبرها:

ـ أنا.. أنا فقط أحب الأطفال وخاصة الصغار، كما قلت من قبل إنهم أطيب وأحن

المخلوقات.

لتغمز له "لوسيندا" وتسأله:

ـ ولما "نادين" خاصة التي تهتم بها؟

ابتعد عنها "فارس" ليجيب عليها قائلًا:

ـ نادين تشبه أختي رحمة الله عليها كثيرًا، عندما كانت في مثل عمرها، كلما رأيتها أرى وجه شقيقتي فيها.

اقتربت منه "لوسيندا" متأثرة بحديثه، وضمته إليها قليلًا وهي تعتذر منه، لم يصدق ما فعلته "لوسيندا" وهي تحاول تهدئته، لكنها كانت تزيد اشتعال ما بداخله دون أن تدري، فأردف قائلًا:

ـ هيا بنا إلى المنزل إذن، فقد أنهينا مهمتنا بالدار.

ابتسمت "لوسيندا" وقالت مداعبة إياه محاولة تغيير مجرى الحديث:

ـ أتريد أن تخدعني، وتلغي دعوتي على العشاء الليلة!؟

فجذبها وهو يخطو إلى الأمام قائلًا:

ـ يبدو أن زوجتي كانت تعتزم قضاء اليوم خارج المنزل طيلة النهار، عذرًا "لوسيندا"، فأمامنا تجهيزات سفر لم ننته منها بعد، أعدك إن أسرعتِ قليلًا ألا ألغي دعوتك على العشاء.

****

دلف "فارس" إلى الغرفة عقب عودتهما وهو يخلع سترته قائلًا:

ـ سأذهب لأخذ حمامي أولًا.

لتجذب "لوسيندا" حقيبة السفر من جانب خزانة الملابس مخبرة إياه:

ـ وأنا سأجهز الحقيبة لحين أن تنتهي أنت من حمامك.

ليغمز لها بطرف عينه قائلًا:

ـ اجهزي أنتِ أولًا، وسنحضر حقيبتنا سويًا فيما بعد.

التفتت بعيدًا عنه تداري وجهها خجلًا، بعد أن فهمت مقصده، لم تحاول الابتعاد أو الهرب هذه المرة، فما كان بداخلها من اطمئنان نحوه هزم ما كان يعتريها من خوفٍ وتوتر، فتحت خزانة ملابسها ووقفت أمامها تتأمل ما بها، تعلو وجهها ابتسامة ممزوجة بالأمل، لتخرج منها قميصًا باللون الأبيض وروبًا طويلًا تضعهما على جسدها وهي تنظر لنفسها بالمرآة ثم تلقي بهما على الفراش لتأخذ غيرهما، وتفعل كما فعلت من قبل، وتتأمل كلًا منها كيف يبدو عليها، ثم تكرر فعلتها ثانية حتى خرج "فارس" من الحمام، وأخذ قميصًا من اللون الأسود مطرز بقلوبٍ من فصوص الثلج وبه فتحة من الجانبين، ووضعه عليها وهو يتأملها قائلًا:

ـ هذا سيكون في غاية الجمال على جسدك.

احمرت وجنتاها وهي تنظر للقميص، وتنقل نظرها له لترى بعينيه اشتياقًا لها، فتأخذه من يديه وتذهب إلى الحمام قائلة:

ـ إذن سآخذ حمامي أنا الآن، وأنت قم بترتيب الفراش.

لينظر إلى الفراش المليء بالملابس ذات الألوان المبهجة، لتتأثر عيناه، فيغمضهما بقوةٍ وهو يردف:

ـ تزوجت طفلة مجنونة حقًا.

حاول "فارس" أن تكون ليلتهما الأولى لا تُنسى، فبعد أن رتب الفراش، قام بتعطير الغرفة وأشعل بعض الشموع الهادئة التي تمتاز برائحة الورود الطبيعية، وقام بتصفيف شعره الأسود اللامع، ليزين ذلك كله بالموسيقى الهادئة، ووقف أمام الغرفة ينتظرها، حتى خرجت وهي ترتدي القميص الذي اختاره لها، ارتجف جسدها عندما رأته أمامها عقب خروجها مباشرة، فأخبرها أنتظر مليكتي، رفعت خصلات شعرها وهي تدلف إلى الغرفة، ليرفعها على ذراعيه، ويضعها برفقٍ أعلى الفراش، سرى الخدر بأوصالها جراء فعلته، فاقترب منها يشتم رائحتها ثم إذا به يقترب أكثر ليضع شفتيه أسفل رقبتها فيرتجف جسدها، فما كان منها إلا أن أغمضت

عينيها مختبئة منه داخل صدره تضمه إلى صدرها أكثر، لتكتمل ليلتهما الأولى التي جمعهما الله فيها بالحلال.

****

استيقظت "لوسيندا" من نومها وهي تبتسم وتفرد ذراعيها، غير مصدقة ما حدث وكأنها كانت تحلم حلمًا جميلًا، لم تجد فارس بجانبها وظنت أنه يأخذ حمامه، فاستغلت غيابه وأسرعت بمهاتفة والدتها لتخبرها بما حدث، لتدعو الأم لها ولزوجها بصلاح الحال وتوصيها عليه مرة أخرى، أغلقت "لوسيندا" هاتفها وقامت للبحث عن "فارس" لتجده يتراقص داخل المطبخ وهو يحضر لها الفطور، فلم تستطع تمالك نفسها من الضحك قائلة:

ـ أجننت يا فارس؟ ماذا تفعل!؟

فاقترب منها وهو يحمل الأطباق بيديه ويضع قبلة على وجنتيها قائلًا:

ـ أحضر بعض الطعام لحلوتي.

تسمرت مكانها وهي تراقبه يتراقص ويغني وهو يضع الأطباق بالشرفة، فاقترب منها وأخذها بين ذراعيه وهو يدعوها أن تفطر معه، استأذنت منه أن تأخذ حمامها أولًا، فوضع بفمها قطعة من الجبن وهو يردف قائلًا:

ـ حسنًا، لا تتغيبي بالداخل سأحضر القهوة لحين أن تنتهي.

****

قضت "لوسيندا" أيامًا لم تتوقع أن تحياها يومًا مع "فارس"، وكانت أيام عطلتهما في المدينة الساحلية أجمل كثيرًا مما توقعت، فاقتربت "لوسيندا" من زوجها أكثر، ولم تعد تخشاه أبدًا، بالعكس كانت دومًا تريد قربه، وتأمن به، وأصبحت فتاة متألقة، وكأن روحها عادت لجسدها من جديد وازدادت قوة، تبدلت حياتها كثيرًا، مما جعلها تتصل بكل من هم حولها لتشكرهم على منحها تلك الفرصة، التي لولا وجودهم ما كانت أن تحدث أبدًا، واطمأن والداها عليها، وهم يرون ابنتهما في

حالتها تلك، فسجد والدها شكرًا وهو يدعو لابنته طوال تلك الليلة التي تحدثت بها معه.

****

انتهت العطلة وعاد الزوجان لعشهما تتقافز السعادة من أعينهما، وكأنهما امتلكا العالم، أخذت "لوسيندا" تفرغ حقيبتها عند عودتهما من الرحلة، فلاحظت الأدوية التي كانت تأخذها بقاع الحقيبة، وقد كانت امتنعت عن تناولها مؤخرًا لما شعرت به من تحسن، فأمسكت بهم وألقتهم في سلة المهملات جانب الفراش بعد أن أفرغت محتوياتها بالكامل، وهي تقول ليس لك مكان هنا مرة أخرى، فقد ماتت من كانت تتناولكم جميعًا.

وفي اليوم التالي كانت الزيارة الأولى لـ "لوسيندا" لمنزل والدها، وقد حضر "ليام" لقضاء عطلة الأسبوع معهم كما وعد شقيقته، دلفت "لوسيندا" إلى غرفتها تتأملها وكأنها تراها لأول مرة، فلم تستطع البقاء بها وخرجت مسرعة إلى والدتها تحتضنها من ظهرها داخل مطبخها، وكأنها تستمد منها الدفء.. لتلتفت لها "ماجدة" وهي تضحك على طفولة ابنتها، وتضمها قائلة:

ـ اشتقت إليكِ كثيرا يا ابنتي حقًا، فوجودك بالمنزل له فارق كبير.

تهمس لها "لوسيندا" وهي تقول:

ـ أأخبركِ سرًا يا أمي؟

أومأت برأسها وهي تخشى ما ستقوله ابنتها، وارتسمت علامات التعجب على ملامحها، لتبتعد ابنتها عنها قليلًا مولية ظهرها لوالدتها وتردف قائلة:

ـ أنا لا أفتقد أيامي بهذا المنزل، كل ما أفتقده هو وجودكم فقط، ولكني كلما تذكرت أيامي بغرفتي ينقبض قلبي مرة أخرى، ولا أريد حقًا أن أتذكر كيف كنت قبل زواجي من فارس، أنا حقًا أشعر بالحب والأمان بقربه، ولا أريد غير ذلك، هل انزعجت من حديثي؟

ـ اغرورقت عينا والدتها بالدموع وهي تجيبها لا يا حبيبتي، فأنا أشعر بكِ، وأفهم

ما تقصدينه، وأنا أيضًا لا أريدك أن تتذكري أي شيء يزعجك أو يغير حال قلبك.

لتدخل عليهم "لبنى" وهي تصرخ قائلة:

ـ أمي، ألم تنتهي من إعداد الطعام بعد؟ فأنا جائعة جـدًا.

فتطردها "ماجدة" من داخل المطبخ قائلة:

ـ اذهبي إلى والدكِ الآن، واتركيني دون إزعاج.. هيا.

فتضحك "لبنى" قائلة:

ـ لقد قمت بإزعاجه منذُ قليل، ولا يوجد غيركِ الآن يا حبيبتي أنتِ، هيا أطعميني مما أطعمك الله.

لتضحك "لوسيندا" من فعلها وهي تهرب منهم وتذهب إلى والدها و"ليام"..

دق جرس المنزل.. ففتحت "لوسيندا" لتجد زوجها فارس، فارتمت بين ذراعيه وهي توبخه على تأخيره، اعتذر منها وهو يقبل رأسها ويسألها عن والدها، فتأخذه إليهم وتجلس معهم ليتبادل الجميع أطراف الحديث، فيعجب والدها و"ليام" من كونها أصبحت أكثر إيجابية، تعطي أراءها فيما يتناقشون به دون تلعثم أو ارتباك.

مر الوقت سريعًا ليفاجأ الجميع بـ "لبنى" وقد أتت تخبرهم بأن الغداء جاهز، قام كل من "كرم" و"ليام" بينما أمسك "فارس" "لوسيندا" قبل أن تخرج وراءهم مقبلًا إياها بقوة قائلًا:

ـ اشتقت إليكِ كثيرًا اليوم.

فتضربه بخفة على صدره، وتحاول الإفلات منه حتى لا يراهما أحد، ولكنه يضمها إلى صدره أكثر فتستكين بين ذراعيه حتى سمعا صوت "ليام" مناديًا فارس من الخارج، فأسرعت "لوسيندا" وهي تجيب نيابةً عنه، يعلو الخجل وجنتيها، لاحظت "ماجدة" حال ابنتها فكتمت ضحكتها وهي تدعو فارس لتناول الطعام، وإذا بالجميع يتبادلون النظرات.. فانفجروا ضاحكين جميعًا.

****

بعد يومين تقريبًا، أتى "فريد" ومعه زوجته، وابنة خالته "هيام" وابنتها الصغيرة "ندى" التي لم تبلغ من العمر سوى الست سنوات لو لم يكن أقل، والتي أتت لزيارة "فارس" مع والديه قبل رجوعهم إلى القاهرة، استقبلتهم "لوسيندا" بترحابٍ شديد، وقدمت لهم الحلوى التي صنعتها خصيصًا لهم، بينما أعد "فارس" القهوة بيديه، تعرفت "لوسيندا" على "هيام" وتبادلتا أطراف الحديث عن عملها بالقاهرة، والمقارنة بين الحياة بالقاهرة والحياة بمدينة الإسكندرية قبل زواجها، لاحظت "لوسيندا" سكوت "ندى" ابنة "هيام"، فسألتها "لوسيندا":

ـ هل تعانين من شيء.

لتجيب "هيام":

ـ إنها عكس ذلك تمامًا، لكنها تخشى رؤية أحد لأول مرة.

ظنت "لوسيندا" أن الطفلة تخشاها هي، لأنها المرة الأولى التي تراها فيها، ولكن حين اقتربت منها استجابت لها سريعًا فأخذتها لتجلسها جانبها، لكن الطفلة نفرت مبتعدة وعادت إلى والدتها.

لم تفهم "لوسيندا" سبب تصرفها فطلبت من "فارس" أن ينادي عليها هو ويعطيها من الحلوى، لكن "ندى" رفضت تمامًا وانكمشت أكثر جوار والدتها، فاقترب منها "فريد" وأخذها بين ذراعيه ليهدئها قليلًا، بعد ما بدأت في البكاء، فخبأت رأسها داخل صدره، كان أمرها محيرًا فسألها "فريد" عما يزعجها..

لتُجيب عليه بأنها تود الرجوع إلى منزلها.

استمع لها "فريد" مخبرًا إياها:

ـ سأحتسي قهوتي ونعود إلى منزلك، لكن لا تبكي.

بالنسبة لـ "لوسيندا" وبحكم خبرتها، كان الأمر واضحًا، "ندى" تعاني من أمرٍ ما، فسلوكها هذا ليس طبيعيًا لطفلة في مثل عمرها، خاصة إن كانت بين أهلها التي اعتادتهم، وهذا ما حاولت إقناعهم به، لتجيب عليها "هيام":

ـ إنها بالعادة طفلة طبيعية، وفوجئت بما طرأ عليها من تغيرات عندما أتينا لزيارة

أهلنا بالإسكندرية.

راقبت "لوسيندا" نظرات الطفلة وهي ترجع إلى مكانها جانب والدتها، نظرت "لوسيندا" لـ "فارس" تستحثه لفعل شيءٍ ما قائلة له:

ـ حاول أن تهدئها أنت، ألم تقل أنك تحب الأطفال، هيا اجعلها تهدأ، أو خذها لتختار هدية من هدايا الأطفال بالداخل.

تذمر "فارس" والذي لغرابة الأمر يرفض التعامل مع الطفلة منذُ حضورها على غير عادته.. لكنه امتثالًا لطلب "لوسيندا" اتجه نحو "ندى" يسألها بلطف:

ـ ندى، حبيبتي، أتريدين لعبة من الداخل أحضرها لكِ؟

لترفض الطفلة مشيحة بنظرها عنه، ويرتجف جسدها وهي تخبر والدتها بأنها تريد أن ترحل من هنا.

نظرت "لوسيندا" بتمعنٍ إلى "ندى" تراقب ردود أفعالها، وردة فعل "فارس" ليجعلها ذلك رغمًا عنها تشك بأمرٍ ما، ظلت ترقب الطفلة بصمت... حتى أنها شردت لتتحول رؤيتها وكأنها ترى الطفلة "لولي" الصغيرة أمامها، نفس ارتجافة جسدها، نفس نظرات الرعب التي تراها بعينيها الآن، شحوب وجهها، كل ما بهذه الطفلة يذكرها بها هي، ترى نفسها وكأنهم وضعوا المرآة أمام أعينها، قامت "لوسيندا" من جلستها وهي تجذب الطفلة برفقٍ إلى الخارج، مخبرة الجميع أنها ستغسل وجهها وتعطيها هدية صغيرة تحتفظ بها، فاستجابت "ندى" لتزيد الشكوك بصدرها، وتؤكد ما عزمت عليه.

أخذت "لوسيندا" الطفلة داخل غرفتها وهي تضمها إلى صدرها بقوة وتحاول أن تتحدث إليها، لكن "ندى" ترفض الحديث، حتى تنفست "لوسيندا" بنفاد صبر مما يعتمل برأسها الآن، محاولة قتل الشك وطرد شكوكها بعيدًا، فوضعتها بلطفٍ أمامها على الفراش وسألتها:

ـ هل أنتِ خائفة!؟

لتهز الطفلة رأسها بالإيجاب..

فأكملت "لوسيندا":

ـ ممن تخافين يا ندى.. أخبريني!؟

فهزت "ندى" رأسها بالرفض رافعة إصبعها أمام وجه "لوسيندا"، وهي توميء به بإشارة الرفض لتأكيد عدم رغبتها بالحديث، وبينما هما كذلك فإذا بـ "فارس" يفتح باب الغرفة وهو ينظر للطفلة بعينين ثاقبتين، لترتمي "ندى" بجسدها داخل أحضان "لوسيندا"، لتتأكد شكوكها بالكامل، فتنساب دموعها رغمًا عنها.

استعجلها "فارس" بالخروج وأغلق باب الغرفة، فلم تلتفت له وضمت الطفلة أكثر إلى صدرها، ثم حاولت جاهدة كفكفة دموعها حتى لا ينتبه لها أحد وأخذت إحدى الألعاب من الطاولة لتعطيها لـ "ندى"، فأمسكت بها "ندى" وهي تقبض يدها على ظهر "لوسيندا"، ومن ثم اتجهت بها "لوسيندا" إلى غرفة الضيوف، لتجدهم يستعدون للرحيل، فسلمت عليهم بحالٍ غير حالها، وانصرف الجميع.

دلف "فارس" ليقوم بتنظيف الغرفة، بينما هي تجلس بغرفتها شاردة الذهن، اقترب منها "فارس" بلطفٍ قائلًا:

ـ عما كنتما تتحدثان أنتِ وندى؟

لم تجب عليه أو حتى تلتفت نحوه، فأعاد تكرار سؤاله مرة أخرى وأكمل:

ـ تعلمين، إنها تعاني من مرضٍ ما، لكن أمها تخشى أن يعلم عنه أحد.

تذكرت "لوسيندا" حديث والدتها عندما كانت في مثل عمر "ندى"، كانت تخبرها نفس الحديث قائلة: "أنتِ لستِ طبيعية، إنكِ تعانين من مرضٍ ما، لا يوجد طفلة في مثل عمرك يمكن أن تكون هكذا!".

يتكرر الشريط أمام عينيها مرة أخرى، وكل ما تفوهت به بعد صمتٍ طويلٍ هو سؤال "فارس":

ـ هل قمت بإيذائها من قبل؟

لم يستوعب "فارس" سؤال زوجته ليسألها عما تقصد، فتعيد سؤالها مرة أخرى بنبرةٍ أعلى:

ـ هل قمت بإيذاء ندى من قبل يا فارس!؟

أردف "فارس" دون تفكير:

ـ بالطبع لا.. كيف سأقوم بإيذاء طفلة؟ أنتِ تعلمين كم أحب الأطفال.

ضربت كلمته كالسهم بقلبها، وهي تتذكر تصرفاته مع "نادين"، تتكرر مشاهده معها أمام عينيها مرة أخرى فتربط الأحداث بعضها ببعض.

وتعيد سؤاله مرة أخرى بهدوء أكبر، لكنه يحمل الكثير:

ـ كم مرة قمت بإيذاء ندى يا فارس؟

ليفقد "فارس" أعصابه جراء حديثها، فلم يستطع السيطرة على نفسه وكأن حديثها يغرز داخله شعورًا يشعل رغبته أكثر، لتصرخ بوجهه وتعيد سؤالها ليدفعها بقوة، فتسقط على الفراش وهو يصرخ بها كفى، كفى، فتزيد من قولها ويزيد هو اشتعالًا من داخله، مما جعله يجذبها نحوه بقوة وهو يحاول خلع ملابسها، وهي تصرخ بوجهه فيزيد من فعلته، فترى بعينيه كل من كانت تهرب منهم طوال حياتها، فتدفعه بقوة وهي تصرخ به:

ـ أنت مثلهم إذن، جميعكم وحوش مفترسة، تصطاد كل ضعيف أمامها، جميعكم ذئاب تلتهم فريستها بتلذذ وهي حية، تشعرون بالنشوة وأنتم ترونها تصرخ من الخوف والرعب أمامكم، جميعكم كلاب سامة ولابد من إبادتكم، كلاب سامة يا فارس.

تتجه نحو السلة التي رمت بها الأدوية وتفرغها أمام عينيه وتجثو على ركبتيها لتلتهم بعضها وهي تنهمر بالبكاء أمامه، لتصيب الصدمة "فارس" فور رؤيتها هكذا، وكأنها أيقظت جزءًا لا زال حيًا داخله لبضع ثوان، ففر هاربًا من المنزل وكانت الشمس اقتربت على المغيب.

❊❊❊❊

مر اليوم على "لوسيندا" وكأنه عامٌ كامل، حاولت فيه جمع شتات نفسها، أما "فارس" فلم يعد منذُ ذلك الوقت.. استيقظت "لوسيندا" باليوم التالي مستسلمة

لما دار برأسها متيقنة مما ظنته بـ "فارس"، وبداخلها صراعٌ هائلٌ لا يهدأ بين الرفض وقبول أن تصدق إحساسها وما رأته!؟ ينتابها التساؤل، ماذا ستفعل معه وكيف ستثبت للجميع ما به من مرض؟

كان أول ما جال بخاطرها هو إنقاذ "نادين"، لذا كان قرارها هو التواجد بالدار بصفة مستمرة.

وهذا ما حدث، أسبوعٌ كاملٌ لم تترك "لوسيندا" الدار لحظة واحدة، تعمل بجد وجهد متواصل بشكلٍ ملحوظ أبهر الجميع ودفعهم للتساؤل، لماذا!؟ وكيف!؟ هي عروس جديدة وتواجد عروس بمكان عملها بهذا الشكل أمر غير مبرر!

كان أول من تساءلت هي مدام "فاتن" مديرة الدار، لتأتي إجابة "لوسيندا" هادئة مقنعة شكلًا، تحمل الكثير من الشك مضمونًا: "فارس على سفر".

تلقي الكلمات كمن يلقي عبئًا ثم تتوارى عن الأنظار، كيف تخبرهم!؟ كيف تخبرهم أن "فارس" ذلك الرجل الطيب الخلوق لم يعد متواجدًا، كيف تخبرهم أنها تزوجت شيطانًا مقنعًا استطاع خداعها وخداع الجميع دونما استثناء!؟

أسبوعٌ كاملٌ منذ اختفائه لم تترك "لوسيندا" الدار سوى سويعات قلائل تقضيها ببيتٍ مظلم لا روح فيه، جدرانٌ لا تحمل سوى الألم ووجه "فارس"، ووسائد لا تحمل سوى دموع "لوسيندا" وخوفها من كل قادم..

عمل بالنهار وانهيار بالليل.. فانتظار لنهارٍ جديد، هكذا صارت تمر الأيام.

وقفت السيارة أمام الدار، لتخرج منها "لوسيندا" تدلف إلى الدار مسرعة كعهدها منذ حدث ما حدث، متجهة إلى مكتبها وهي بحالةٍ غير حالها وكأنها فتاة ثالثة تمامًا، لا هي "لوسيندا" زوجة "فارس"، ولا هي الفتاة نفسها قبل زواجها، قررت "لوسيندا" القدوم إلى الدار كونه المكان الوحيد الذي ترتاح به وسط ملائكتها الصغار، بينما قرارها الأكبر أن تحميهم من وجود "فارس".

اتجهت "لوسيندا" نحو الحديقة لترى الأطفال فتطمئن عليهم ويطمئن قلبها، لتجد

"نادين" بينهم ترتدي فستانًا يكشف عن ساقيها وذراعيها، وبه ورودٍ كثيرة أعلى الصدر، مطرز بحبات اللؤلؤ المضيئة وهي تدور حول نفسها وتتراقص مع زميلٍ لها بالدار، يحيطهم جميع الأطفال متماسكين بأيدي بعضهم البعض يشجعونهما، فابتسمت لهم "لوسيندا" وغادرت الحديقة لتطمئن على باقي الأطفال في الغرف، وبينما هي كذلك كان هناك من يراقب "نادين" وبيده باقة من الورود، يراها تتمايل على ذراع زميلها وتقف مرة أخرى، وتلتف حوله فيتطاير شعرها الناعم إثر دورانها، مما جعل نشوته نحوها تزداد، لم يتمالك السيطرة على نفسه، فوقف بعيدًا يترقبها حتى انتهت.. فانتهز فرصته وهي تتجه نحو غرفة الأنشطة بعد أن انصرف الجميع، مع يقينه أن من تبقى لن ينتبه له لانشغالهم باللعب، ظل مختبئا خلف الشجرة حتى رآها تدلف إلى الغرفة..

فذهب خلفها.. لكن لسوء حظه لم تكن وحدها بالغرفة، وجد جوارها طفلًا صغيرًا يرسم بينما هي تثني على رسمته، فدلف إليهما "فارس" وهو يقترب من الطفل مبتسمًا، وعندما رأته "نادين" ذهبت إليه وهي ترحب به، فجذبها إليه يحتضنها ويقبل وجنتيها ويهديها الورود.. مخبرًا الطفل بأن هناك حقيبة مليئة بالهدايا وضعها لهم في غرفتهم، ليذهب الطفل مهرولًا إلى الغرفة ليحصل على الهدية، تقافز قلب "نادين" فرحًا عند سماعها بأمر الهدايا فأخبرت فارس أنها ستذهب معه لتحصل على الهدية التي أحضرها، فرفض "فارس" أن يتركها ترحل متعللًا بأن هديتها معه هو، وحين سألته عنها بادرها بالسؤال عن الهدية التي كانت تصنعها له؟

لتقترب من الخزانة وتخبره بابتسامة جذلة أنها لم تكتمل بعد، لكنها ستريه إياها، لكنه باغتها فجأة حين اقترب منها أكثر.. فأمسكها من ذراعيها وجذبها نحوه لترتجف "نادين" وتختفي ابتسامتها.. وتتحول لغضبٍ هادر وهي تردف غير مصدقة:

ـ ماذا تفعل يا فارس!؟

كتم "فارس" فمها وهو يضع يده أسفل فستانها ويحاول فكه من الخلف، بينما هي تحاول الإفلات منه لكنها لا تستطيع، كانت "نادين" أضعف من أن تستطيع الفكاك، فظل يقبلها أسفل رقبتها ويحرك يده أسفل ساقيها.. بينما تبوء كل

محاولاتها بالفشل غير قادرة على إنقاذ نفسها من براثنه، حتى جحظت عيناها التي ينساب منها الدمع في صمت... وهي تنظر له غير مصدقة ما يفعله بها، فيرتفع صدرها ويهبط بسرعة عالية، تحاول النطق لتتوسل له بأن يتركها لكنه يأبى أن يرفع يده عن فمها فيفهم ما تتفوه به، فيئن صوت استغاثتها الصامت حتى يخفت تمامًا ويهدأ جسدها دون حراك، فينتبه "فارس" متعجبًا من ثقل حملها بين ذراعيه ويتوقف عما كان يفعله ليجدها وقد أفلتت من بين يديه وسقطت أرضًا مغشيًا عليها..

وقف "فارس" مبهوتًا.. لكن وقبل أن يفر هاربًا كان هناك من دلفت إلى الحجرة لتراه وقد أفلتت "نادين" من بين يديه، فتخمن بجزءٍ من الثانية كل ما حدث وتذرف عيناها دمًا كقلبها، الذي كاد أن يتوقف فور رؤيتها "نادين"، جحظت عينا "فارس" عندما رأى "لوسيندا" أمامه.. فأسرع يلوذ بالفرار بينما هي تقترب من "نادين" الفاقدة الوعي، تحاول إسعافها ولكن دون جدوى.

تنادي عليها بأعلى صوتها:

ـ نادين.. نادين، أفيقي يا نادين.

لكن صوتها يذهب هباءً تردده أرجاء الحجرة، بينما الطفلة لا تفيق.

أخذت "لوسيندا" تضغط على صدر "نادين" ضغطات مدروسة، كنوعٍ من الإسعاف الأولي لتنقذ قلبها البريء الذي تدرك تمامًا عدم مقدرته على التحمل كونها مريضة بالقلب، ولكن أمر الله قد نفذ، ضمت "لوسيندا" "نادين" إلى صدرها بعد أن أيقنت أن قلبها قد توقف إثر الصدمة التي تعرضت لها، وهي تصرخ بانهيارٍ تام في محاولة عدم تصديق قائلة:

ـ نادين، لا تتركيني يا نادين.

ثم تصرخ باسم زوجها بسؤالٍ لا مجيب له:

ـ لماذا يا فارس!؟

لماذا فعلت هذا!؟

لماذا قتلت نادين!؟

كان بكاؤها هيستيريًا، وصوتها من العلو ليجتمع كل من بالدار مهرولين إلى غرفة الأنشطة، يرقبون الموقف في ذهول، لا أحد يعلم ما حدث لكنهم يبكون لفراق صغيرتهم "نادين"، فتضم "لوسيندا" الطفلة إلى صدرها بقوة أكبر، صارخة فيهم من بين دموعها وارتجافتها:

ـ ليسرع أحدهم بطلب الإسعاف.

كانت صرخاتها لتذيب الجليد، تشعر بالعجز التام، لا تعلم ماذا تفعل، تبكي وتصرخ باسمها لتفيق، وتخبر من يقفون حولها بأن "نادين" ستعود، أخذت تحرك "نادين" بقوةٍ محاولة إفاقتها مرة أخرى لكن دون جدوى، غير مصدقة أنها فارقت الحياة، تهز رأسها برفض ما حدث، وهي تردف:

ـ لا.. لا.. إنها ستعود، لن تموتِ هكذا يا نادين، لن تكون نهايتكِ هكذا، لا.

ترقد "نادين" أرضًا ثم تنظر لها بذهول، وهي تعود بظهرها إلى الخلف وتستكين بركن الغرفة جانب الخزانة، يرتجف جسدها بشدة وهي تنظر لوجه الطفلة الساكن.. فترى نفسها بنفس ذات المكان، وتتذكر كل مرة تكرر معها نفس الموقف لتنتقل بناظريها بين أوجه الناظرين في ذعر، وتردف بصوتٍ هادئ ذاهل، وكأنها تحدث نفسها:

ـ أنا من جلبته إلى هنا، أنا السبب في وجوده بيننا، سامحيني يا نادين.

قالتها ثم عادت لصراخها مرة أخرى، يتدرج صوتها من العلو إلى الانخفاض أمام الجميع، وهي تضم ركبتيها إلى صدرها بقوة وتلتصق أكثر بالجدار:

ـ ابتعدوا عني، ابتعدوا عن نادين، اتركونا وحدنا، لا أريد رؤية أحد، لا أريدكم جميعًا، سآخذ نادين ونرحل عنكم، هيا ابتعدوا عنا، هيا.

لم يجرؤ أحد على الاقتراب منها سوى "فاتن" مديرة الدار، والتي كانت قد أمرت أحد العمال بطلب الإسعاف وإبلاغ الشرطة، اقتربت "فاتن" من "لوسيندا"، تحاول تهدئتها لتهزي "لوسيندا" لاهثة بكلامٍ غير مفهوم، فيزداد ارتجاف جسدها، وترتفع درجة حرارتها، ثم تسقط مغشيًا عليها بين يدي "فاتن".

الفصل العاشر

بضع دقائق.. بضع دقائق فقط كانت فاصلة بين موت "نادين" وانتكاسة "لوسيندا"، بضع دقائق كانت كفيلة بإعادة "لوسيندا" إلى قبرها الذي يعج بالحياة ولا يشعر ببشاعة ضمته سواها..

مر الوقت على كل من بالدار وكأن الزمن قد توقف، "فاتن" تحاول إسعاف "لوسيندا" بينما الأطفال يبكون مذهولين تحاول المشرفات والمربيات والعاملين بالدار تهدئتهم دون جدوى، وكيف يهدئهم من افتقد قلبه الهدوء، فصار يرتجف إثر صدمة غير متوقعة تحمل البشاعة ولم تكن أبدًا في الحسبان، حتى في أسوأ كوابيسهم لم يتوقع أحد منهم أن يحدث ذلك يومًا ما.

لم تتأخر الشرطة أو سيارات الإسعاف، لتُحمل جثة "نادين" على المحفة تتبعها "لوسيندا" الفاقدة الوعي، وتبدأ التحقيقات مع كل من بالدار.. فتأتي إجابات الجميع واحدة بأنهم تجمعوا على صراخ "لوسيندا"، وعند حضورهم كانت تضم "نادين" إليها وهي تبكي ولا نعلم ما حدث قبل ذلك.

ليوجه الضابط سؤاله إلى مدام "فاتن" مديرة الدار، لتعيد ما قاله الجميع، زادت عليه بأنها سمعت "لوسيندا" تصرخ باسم "فارس" وتقول: لما يا "فارس"؟

فنظر إليهم وسأل:

ـ من منكم فارس!؟

لتجيب عليه مدام "فاتن":

ـ زوج لوسيندا المغشي عليها.

فأخذ يستوجب كل من يقف إن كان أحدٌ منهم قد رآه اليوم لتأتي إجابتهم جميعًا بالنفي، فقرر الذهاب إلى غرف الأطفال ليسألهم عن "نادين" ومن كان معها قبل

ما حدث لها؟ ليجيب كل منهم بأنه لم يرها عقب انتهاء لعبهم معها سويًا بحديقة الدار.

خرج الضابط من الغرف عائدًا لغرفة الأنشطة محل وقوع الجريمة مارًا بالحديقة، ليجد بطريقه طفلًا يبكي جانب الشجرة التي تقرب الممر المؤدي إلى الغرفة، فاقترب منه يسأله عما يبكيه؟

نظر له الطفل في ذعر، فربت الضابط على كتفيه مطمئنًا، ثم سأله نفس السؤال الذي طرحه على الأطفال جميعا:

ـ هل تعلم ما حدث بالداخل؟

ليجيب الطفل عليه بـ لا..

فسأله ثانية:

ـ هل رأيت نادين قبل ما حدث؟

ليجيب عليه بـ نعم:

ـ ولكني تركتها مع فارس وذهبت إلى الغرفة.

شعر الضابط أنه أخيرًا وجد ضالته عندما تكرر اسم "فارس"، فعاد يسأل الطفل:

ـ وأين فارس الآن؟ احك لي ما حدث من البداية.

حاول الطفل استجماع شجاعته وهو يمسح دموع عينيه، ليخبر رجل الشرطة عما حدث بداية من دخول "فارس" غرفة الأنشطة حتى تركهما معًا بعد أن أخبره "فارس" عن تركه لحقيبة الهدايا بغرفته.

فأعاد الضابط سؤاله:

ـ هو من جعلك تذهب لغرفتك، أم أنك تركت غرفة الأنشطة من تلقاء نفسك فور علمك بأمر الهدايا؟

فأكد الطفل على حديثه بأن "فارس" هو من طلب منه أن يذهب إلى هناك..

ليسأله رجل الشرطة:

ـ وهل كانت توجد هناك حقيبة هدايا بالفعل!؟

فنفى الطفل وأجهش بالبكاء مرة أخرى.

كان السؤال الأخير هو الفيصل لرجل الشرطة لتثبت شكوكه بتورط "فارس" بقتل الطفلة "نادين" الغير مبرر، وكان عليه بعد ذلك أن يجمع باقي الأدلة وينتظر تقرير الطب الجنائي وإفاقة "لوسيندا" اللذان سيحسمان الأمر..

كانت الجريمة أشبه بالأحجية، فما علاقة "فارس" بنادين؟ ولماذا يقدم شاب مثل "فارس المرشدي" على قتل طفلةٍ بريئة كتلك!؟

اتجه ضابط الشرطة إلى غرفة مدام "فاتن" يسألها ما علاقة "فارس" بالدار!؟

لتجيب عليه وهي تجفف دموع عينيها:

ـ إنه يأتي لزيارة الأطفال بشكلٍ مستمر، ويجلب لهم الهدايا، ولكني لم أره اليوم.. ولا أعرف ما علاقته بما حدث لتصرخ "لوسيندا" باسمه هكذا.

فيفاجئها الضابط بما حصل عليه من الطفل من معلوماتٍ عن قدومه، وبأنه كان مع "نادين" في الغرفة، وأشار من النافذة إلى الطفل الجالس بالحديقة، لتعرفه "فاتن" من فوره وتعيد على الضابط إجابتها السابقة حول مجيء "فارس"، بأنها لا تعلم إن كان أتى أم لا.. فسألها:

ـ هل توجد كاميرات مراقبة بالدار؟

لتجيب عليه بأن هناك كاميرا خارج البوابة، وكاميرا بالحديقة والممرات الداخلية بالدار، ولكن الغرف لا يوجد بها كاميرات.. فاستأذن منها بأن يكشف عما تحويه من تسجيلات، فوافقت على الفور وصحبته لغرفة خاصة استطاع من خلالها فض تسجيلات كل كاميرا بشكلٍ مستقل، وجلس يراقب كل ما سجلته خلال الساعة الماضية لقطة بلقطة، حتى لاحظ رجلًا يقف مختبئًا خلف شجرة بالحديقة يراقب لعب الأطفال وبينهم "نادين"، فأسرع بسؤال مدام "فاتن" إن كان هذا هو "فارس"

أم لا.. لتنظر له وتؤكد عليه بأنه هو.

ـ ماذا يفعل هذا الرجل!؟

قالها رجل الشرطة وهو يكبر صورته، ليلاحظ حينها أنه كان يراقب "نادين"، فأكمل الفيديو حتى وجده يدخل خلفها مباشرةً إلى الغرفة، ومن ثم خرج الطفل الذي كان يتحدث معه..

أمر الضابط بالتحفظ على تسجيلات الكاميرات كجزءٍ من الأدلة، لتنتهي التحقيقات بالدار باستصدار أمر آخر بالقبض على "فارس" وإحضاره، ليذهب من فوره بعد ذلك إلى المشفى التي وصلت إليها سيارة الإسعاف، ليتابع التقرير المبدئي عن حالة الطفلة، فيخبره الطبيب بأنها توفيت إثر أزمة قلبية، وأن هناك بعض العلامات على جسدها تشير بتعرضها للعنف ومحاولة الاعتداء.. الأمر الذي لم يتحمله قلبها الضعيف، خاصة أن حالتها كانت حرجة جدًا بما لم يدع متسعًا من الوقت لإسعافها، فسأل عن "لوسيندا" ليأخذ أقوالها.. لكن الطبيب أخبره أنها تعاني صدمة عصبية أفقدتها النطق، وأنه اضطر لإعطائها جرعة كبيرة من المهدئات بعد أن استعان بأحد الأطباء المختصين لمباشرة حالتها، فشكره الضابط وغادر المشفى.

وصلت مدام "فاتن" مديرة الدار إلى المشفى قُبيل مغادرة الضابط بقليل، لتلعب المصادفة دورها فتستمع كلام الطبيب معه وهي تكتم فمها بيدها، ويعتصر الألم قلبها على حال ابنتيها "لوسيندا" و"نادين".

❊❊❊❊

وفي منزل "كرم".. كانت "ماجدة" تجهش بالبكاء حين أخبرتها مدام "فاتن" عبر الهاتف بما حدث، تحاول الاتصال بزوجها فلا يجيب عليها، فقامت بالاتصال على "ليام"، وحين أخبرته.. تملك الحزن من قلبه على عدم وجوده الآن جانب شقيقته وتوءم روحه، فأخبرها أنه سيكون أمامها اليوم.. تركت "ماجدة" رسالة لزوجها وذهبت إلى المشفى برفقة ابنتها الصغيرة، لترى بطريقها "فاتن" وتسألها عن غرفة

ابنتها، فتهرول إليها مسرعة لتجدها نائمة كالملاك الحزين بوجهٍ شاحبٍ ودموعٍ تنسدل من عينيها رغما عنهًا، وكأنها حفرت طريقًا على وجنتيها.

تضع "ماجدة" يدها على قلبها وتبكي بحرقة على حال ابنتها، تحاول "لبنى" تهدئتها، بينما حالها لا يختلف عن حال والدتها كثيرًا حزنًا على شقيقتها "لوسيندا".

****

بعد سويعات قلائل كان الكل مجتمعا أمام غرفة "لوسيندا"، "كرم، ليام، ماجدة، لبنى، فاتن" وحتى "أميرة، وليلى" اللتان حضرتا عقب اتصالٍ هاتفي من "لبنى"، أخبرتهما من خلاله بكل ما حدث، حاولت "أميرة" تهدئة الجميع.. ثم توجهت إلى غرفة الطبيب معرفة إياه عن نفسها تستفسر منه عما حدث مع مريضتها، ليخبرها بتفاصيل الحالة وبأن أحدًا لم يستطيع التعامل معها نظرًا لما انتابها من هياجٍ ورفضٍ تام لاقتراب أي من الأطباء أو طاقم التمريض، محاولة الابتعاد بركن الغرفة صارخة بوجه الجميع، حتى اضطر إلى إعطائها جرعة زائدة من المهدئات ليتمكن من فحصها، طلبت منه الدخول إليها بعد أن تناقشت معه نقاشًا مختصرًا حول التاريـخ المرضي للحالة، فوافق على الفور.. وقبل أن تغادر "أميرة" الغرفة أتت إحدى الممرضات لاستدعاء الطبيب تخبره بإفاقة المريضة "لوسيندا" التي أتت مع الطفلة المتوفاة، ولكن حالتها غير مطمئنة كونها ترتجف بشدة.

أسرع الطبيب و"أميرة" إلى الغرفة ليجدا "لوسيندا" تغطي وجهها وهي ترتجف، وتضم ركبتيها إلى وجهها تصرخ إذا ما شعرت بمحاولة أحدهم لمس جسدها لإجراء أي فحص، كانت تصرخ وتبكي بشدة، وتلف ذراعيها حول نفسها، فحاولت "أميرة" طمأنتها قائلة:

ـ لوسيندا، حبيبتي أنا هنا بجانبك.

وبالفعل كان صوتها العامل الوحيد لتهدئة "لوسيندا" بعض الشيء..

ترفع "لوسيندا" الغطاء عن وجهها، لتجد "أميرة" تقف بجانب الطبيب، فتشير لها "لوسيندا" بحركةٍ عصبية أن تبتعد عنه، وتعود تحت غطائها مرة أخرى، تقترب

منها "أميرة" تحاول الحديث معها لكنها لا تجيب، وتزداد ارتجافة جسدها.

استدعى الطبيب الممرضة لنقلها إلى قسمٍ آخر بعد إعطائها جرعة أخرى من المهدئ مخبرًا "أميرة" أن "لوسيندا" ستحتاج رعاية خاصة وعالية جدًا، لأنها من الممكن أن تؤذي نفسها، أو غيرها كونها غير مدركة لما تفعله الآن.

حزنت "أميرة" على ما وصلت له "لوسيندا" من انتكاسة بعد أن كانت قد قاربت على التعافي الكامل، وخرجت لتخبر أهلها بما جد من حالتها، لتنهار "ماجدة" وتسقط مغشيًا عليها، فيحاول الجميع إفاقتها وأولهم زوجها "كرم"، بينما تطلب "أميرة" حضور أحد الأطباء والذي نقلها بدوره لغرفة قريبة من غرفة ابنتها، ليتم فحصها وعمل اللازم من اسعافات.

كان لدى "كرم" والد "لوسيندا" يقينٌ بأنه الوحيد القادر على مساعدة ابنته، لشعوره الدائم بقربه منها وقربها منه، لذا.. وبعد أن اطمأن على حالة زوجته طلب إذن الطبيب برؤيتها ولو لبضع دقائق، لكن المفاجأة كانت من نصيبه.. فعندما رأته "لوسيندا"، وقبل أن يقترب منها نزلت من فراشها وأسرعت إلى ركنٍ صغيرٍ بالغرفة وهي ممسكة بغطائها، وجثت على ركبتيها وهي ترتجف وخبأت جسدها بما تحمله وهي تهز رأسها في اعتراض على قربه، انسدلت دموع عينيه على وجنتيه وهو يقول لها بتوسل:

ـ ابنتي حبيبتي، ما بكِ!؟

ثم حاول الاقتراب أكثر وهو يمد لها يده.. فتصرخ به "لوسيندا" ليبتعد عنها وخبأت وجهها أسفل الغطاء، وزاد ارتجاف جسدها بشدة، وبدأت في إصدار صوتٍ غير مفهوم في غضبٍ شديد تملك منها.

ليبكي والدها بكاءً شديدًا ويزداد نحيبه وهو يدعو الله لها، ثم خرج من فوره لاستدعاء الطبيب والذي أتى مسرعًا ليعطيها جرعة أخرى من المهدئات، ثم أمر بمنع الزيارة وأخبرهم أن حالتها تزداد سوءًا، لتقول له "أميرة":

ـ بإمكاني أخذ "لوسيندا" إلى مصحة نفسية حين تسمح حالتها بذلك؟

وافق الطبيب على قولها وأردف:

ـ سيكون هذا أفضل.

بينما رفض الأب اقتراح "أميرة" معترضًا بغضب، صارخًا بها:

ـ ابنتي ليست مجنونة لتنقليها لمصحٍ عقلي.

اقتربت منه "أميرة" وهي تخبره في هدوء:

ـ لوسيندا ليست مجنونة، لوسيندا تعاني من مرضٍ نفسي، ولابد وأن تُشفى منه، وهي الآن في حالة انتكاسة، الأمر ليس كما فهمت، ولكنه مركز خاص للعلاج النفسي، أنا أعمل به، وهناك ستكون لوسيندا تحت رعايتي شخصيًا.

استسلم "كرم" لما قالته "أميرة"، وجلس يبكي في صمت...

****

وبينما الجميع بالمشفى حول "لوسيندا"، كان "فارس" في قسم الشرطة يتم التحقيق معه، لكنه لم يتفوه بكلمةٍ واحدة تفيد التحقيق، وكل ما يقوله أنا لم أقتلها، أنا لم أقتلها صدقني، ليسأله رجل المباحث عن سبب وجوده بالدار، وخاصة داخل غرفة الأنشطة مع "نادين"، فلم يجب عليه، وكأنه في صدمةٍ كبيرة لا يقدر على استيعابها، وأخذ يردد أنا لم أقتلها... لم أقصد قتلها، لم أقصد...

فأخبره رجل المباحث بأنها توفيت إثر صدمة قلبية، ولكنه يريد أن يعرف ما حدث قبل ذلك معها، خاصة وأن تقرير الطب الجنائي يشير إلى وجود بعض علامات استخدام العنف على جسد الطفلة، وأن الشهود والكاميرات تؤكد أنه آخر من دخل الغرفة قبل حدوث الوفاة!

نظر له "فارس" بعينين مرتعشتين، وأجاب وهو يبكي:

ـ لم أقصد قتلها، صدقني لم أقصد.

يتنفس رجل الشرطة بنفاد صبر ويعيد سؤاله:

ـ ماذا فعلت بها إذن؟

فيجيبه الصمت...

فيعيد محادثته بهدوءٍ مستكملًا التحقيق، قائلًا له، صمتك هذا لن يفيدك بشيء، إن لم تتحدث وتحكي لي ما حدث قبل وقوعها، سأعتبر أنك أنت من قمت بقتلها.

ليجيب "فارس" صارخًا:

ـ لا.. لا.. لا.. لم أقتل.. أنا لم أقتل، لا أستطيع ذلك.

فيعود رجل المباحث لسؤاله:

ـ إذن أخبرني ماذا فعلت بها؟

ليتلعثم "فارس" بالقول ويرتبك كُلما تذكر ما حدث وهو يخبره:

ـ أنا لم أقصد إيذاءها، صدقني لم أقصد.

ومن ثم ينهار بالبكاء وهو يقول:

ـ لا أستطيع التحدث، كفى أرجوك.

يقوم رجل الشرطة من جلسته وهو يقترب منه ويهمس بأذنه:

ـ ولماذا لا تقو على التحدث إذن يا فارس!؟ هيا أخبرني، أنا أسمعك.

ـ لم أكن مدركًا لما أقوم به، صدقني لم أكن في حالتي حينها.

وأجهش بالبكاء مرةً أخرى..

يقترب منه الضابط أكثر، ويسأله بنبرةٍ هادئة:

ـ وما الذي قمت به إذن؟

فيرتجف "فارس" مجيبًا:

ـ لا شيء.. لا شيء.

فيواجهه الضابط بالسؤال:

ـ ولماذا تبكي إذن ما دمت أنت لم تفعل شيء!؟

ـ فراق نادين أوجعني كثيرًا، لم أتخيل أن هذا سيحدث عندما...

ـ ها... عندما ماذا!؟ احك هيا..

ـ أرجوك دعني أرتاح قليلًا، لا أستطيع الحديث.

ـ حسنًا يا فارس، سأجعلك تهدأ.

قال رجل الشرطة وهو يمسك بقلمه ليستكمل المحضر قائلًا وهو يكتب:

ـ "ولقد تم اعتراف المتهم، بأنه قام بقتل الطفلة عندما...

صرخ "فارس" به قائلًا:

ـ لا.. لا.. لم أقتلها أنا فقط... أنا فقط اقتربت منها قليلًا.

ـ اقتربت منها كيف؟

ـ اسمع يا فارس، إن لم تحك ما حدث، سأكمل المحضر الخاص بك، بأنك معترف بقتل الطفلة نادين.

أجهش "فارس" بالبكاء.. فأتى رجل الشرطة بكوبٍ من الماء وقدمه له.. فارتشف القليل منها وهو يبتلع ريقه، وكأن بحلقه مرارة، ونظر إلى أسفل قدميه وهو يخبره، بأنه اقترب منها ليحتضنها.

أردف رجل الشرطة:

ـ قمت بالاعتداء عليها إذن؟

فأجاب "فارس" مسرعًا:

ـ لا.. لا.. لم أقم بالاعتداء عليها.

ـ أنت من قلت هذا الآن.

ـ ولكن ليس بشكلٍ كامل.

ـ كيف يا فارس؟ أخبرني كيف قمت بذلك معها؟

جفف "فارس" دموع عينيه وهو ينظر له، ويحكي ما حدث بعد أن أسقط في يده، ليدون رجل الشرطة اعترافه كاملًا ويأمر بتحويله للنيابة لتعيد التحقيق معه قبل إصدار الحكم عليه.

****

حضر "فريد" لقسم الشرطة برفقة محاميه الخاص فور علمه بالقبض على "فارس"، في محاولة لفهم سبب القبض عليه ومعالجة الأمر قبل أن يصل لسراي النيابة، وبعد أن حكى له ضابط الشرطة ما قام به ابنه بالدار وما أتبعه من وفاة الطفلة، فإذا بـ "فريد" يبكي قائلًا:

ـ ابني مريض، صدقني ابني يعاني من مرضٍ منذُ صغره، ولم أستطع معالجته خوفًا مما سيقوله الناس عنه، ومن ثم تشويه صورتي، وصورة عائلتي أمام الجميع، أنا من أوصلت حالته لهذه الدرجة، لولاي أنا وما فعلته لكانت حالته أفضل، ولكني لم أستعب حينها أن هذا سيحدث يومًا ما، أرجوك أن تخرجه وضعني مكانه، لا تنه مستقبله هكذا أرجوك، فهو مريض لا يدرك ما يقوم به.

وإذا بـ "فريد المرشدي" رجل المال والأعمال يتقدم محاولًا تقبيل يد رجل المباحث، يتوسل له بأن يخرج ابنه خوفًا عليه، ولكنه يرفض أن يتم هذا دون أن يعرض ابنه على النيابة، وهم من يحددون من يبقى ومن يرحل، ثم سأله الضابط متعجبًا من أمره:

ـ وكيف تعلم أن ابنك يعاني من هذا المرض ولا تقوم بعلاجه!؟ أيعجبك حاله الآن!؟

صورتك التي حافظت عليها سنوات طويلة، ستهدم اليوم عندما يعلم الناس الذين

تخشى قولهم بأن "فارس فريد المرشدي" داخل السجن، صورتك أمام ابنك الآن هي الأصعب بأنك تركته يعيش حياته هكذا.

ليبكي "فريد" بكاءً شديدًا وهو يخبره:

ـ فارس لا يعلم أنني علمت بمرضه، أخشى أن أعترف له فيتركني ويرحل، وأنا لا ولد لي سواه بعد وفاة ابنتي الصغيرة.

لم يجب عليه رجل الشرطة ولكنه أخبره بأن الأمر ليس بيده الآن..

خرج "فريد" من غرفة رجل الشرطة ليجد "هالة" بانتظاره، تسأله عما حدث لـ "فارس"، ليجيب عليها قائلًا:

ـ لقد اكتشفوا مرضه يا هالة، سيتحدث الجميع غدًا عن ابن "فريد المرشدي"، وكل ما حاولت إخفاءه طوال حياتي سينكشف خلال ساعات قليلة.

لتضع "هالة" يدها على فمها وهي تقول له:

ـ هل فعلها ثانية؟

ليتقدم أمامها بخطواتٍ بطيئة وهو يجيب عليها:

ـ لقد فعلها مع طفلةٍ بالدار التي تعمل بها زوجته، وليتها انتهت هكذا، ولكن البنت فارقت الحياة إثر أزمة قلبية، لم تحتمل ما حدث لها.

تبكي "هالة" في صمتٍ وهي تردف قائلة:

ـ كما تدين تدان يا فريد بيه، لن ينسى الله سبب موت ابنتك، تنازلت عن حقها مقابل مال وعقارات، والآن تموت طفلة أخرى لنفس السبب، ولكن حقها سيعود رغم أنها طفلة يتيمة، وابنتك التي لها عائلة كبيرة ضاع حقها مقابل المال والنفوذ.

صُعق "فريد" من قولها، فصفعها على وجهها بقوة وهو يصرخ بها بصوتٍ خفيض:

ـ لا أريد سماع صوتكِ ولا تتفوهي بكلمةٍ أخرى، إن كنت أضعت حق ابنتي وابني

من أجل المال، فأنتِ أيضًا خسرتِ نفسك وأضعتِ كلمة حق ستسألين عنها من أجل المال والوظيفة، لا تنسي حالك.. فأنا وأنتِ تنازلنا عن أغلى ما نملك من أجل المال.

أعادت صفعته لها ماضيًا أليمًا كان يعتصر قلبها كلما تذكرته، عندما رأت "فارس" يفعل فعلته هذه مع أحد أطفال عائلتها في أحد المباني المجاورة من مقر الشركة، وعندما أسرعت لتنقذ الطفل كان قد فر هاربًا عند سماعه من يقترب، طلبت من الطفل ألا يخبر أحد، بينما استغلت هي الموقف لصالحها لعلمها بشخصية الشاب الفار، وكيف لا تعرفه وهو ابن "فريد المرشدي" ابن عمومة والدها المتنكر لأصول عائلته، فذهبت إلى الشركة لتهدد "فريد" بأنها ستفضح ابنه المصون، ولكنه أغراها بالمال والوظيفة التي استلمتها داخل شركته، وبعد مرور شهورٍ قليلة من تعيينها، سمعت شجارًا هائلًا بينه وبين رجلٍ ذي منصبٍ ونفوذٍ كبير بين رجال الأعمال، وكان "فريد" يخشاه كثيرًا، لكن ما سمعته أثناء شجارهما كان صاعقًا بحق، لتكشف أن هذا الرجل هو من تسبب في وفاة ابنة "فريد" الصغرى، وأن "فريد" مستعد لأن يفعل أي شيء مقابل المال، كان الطمع حليفها، فدلفت إليهما حينها لتثبت لهما أنها سمعت شجارهما، وعلمت ما يتحدثان عنه، لعلها تستغل ذلك في جلب أموال أكثر وتصبح مثل "فريد" يومًا ما، ولكنها كانت ضحية أخرى لهذا الرجل ليعلمها الدرس باكرًا ألا مجال للعب مع الكبار، لينقلب ما كانت تحلم به ضدها، وبدلا من أن تجني المال تكون هي وسمعتها ثمن خرسها وللأبد؛ فيموت السر معها دون رجعة.

الفصل الحادي عشر

يقف "ليام" ينظر إلى شقيقته عبر الزجاج الفاصل بينهما في المركز الطبي للعلاج النفسي، الذي انتقلت له مؤخرًا، ودموع عينيه حفرت طريقًا على وجنتيه، وكست ملامح الحزن وجهه وهو يتأمل ما أصبحت عليه "لوسيندا".. أخذ ينظر حوله ليرى إن كان هناك من يراه أم لا، فرغم علمه بمنع الزيارة إلا أنه لا يطيق صبرًا راغبًا برؤيتها عن قرب عله يطمئن أكثر، دلف "ليام" مسرعًا إلى غرفة شقيقته، وجلس جانبها باكيًا، يمسك يدها ويقبلها برفقٍ قائلًا:

ـ حبيبتي، ليام حبيبك هنا، هيا أفيقي يا لوسيندا، فأنا اشتقت إليكِ كثيرًا، أعلم أنك تسمعينني، أريد أن أعتذر منكِ عن عدم وجودي جانبك حينها، هيا استيقظي.. وأنا أعدكِ بأنني لن أتركِ وأرحل بعد ذلك أبدًا.

تحرك "لوسيندا" أطراف يدها ببطءٍ شديدٍ بين يديه، فيقبلها بقوة، حتى دلفت إليه "أميرة" وهي تعاتبه على دخوله، وتأمره بأن يغادر الغرفة، ولا يفعلها ثانية.. فـ "لوسيندا" بعد ما حدث لها لا تريد أن يقترب أي شخص منها مهما كانت صلته بها، وحكت له ما حدث عندما رأت والده بالمشفى، فبكى أكثر وتفهم ما تقوله ورحل عنها.

****

تناقلت مواقع التواصل الاجتماعي قضية "فارس فريد المرشدي" وفتاة الدار، صُعق "زين" وهو يتفحص حاسوبه حين رأى ما تنشره الأخبار عن تلك القضية، خاصة حين علم ما حل بـ "لوسيندا".. فما كان منه إلا أن أتى بهاتفه باحثًا عن رقم "ليام" والذي كان قد تبادله معه يوم الخطبة.. محاولًا الاطمئنان عليها بشكلٍ خفي.. حاول "زين" الاتصال بـ "ليام" أكثر من مرة حتى أتاه الرد حزينا مختنقًا.. حاول "زين" مواساته ببضع كلمات، وقبل أن يغلق الهاتف كان قد اتفق معه على

أن يقابله بعد ساعاتٍ بمكانٍ قريب من المصح، وبالرغم من ذلك لم يقو على مقابلة "ليام" منفردًا، فطلب من "مروان" مرافقته.. وافق "مروان" على الفور لتعاطفه مع "لوسيندا"، ورغبته في الاطمئنان عليها.

❊❊❊❊

بالموعد المحدد وبأحد المقاهي المطلة على أحد شواطئ الإسكندرية، كان ثلاثتهم يجلسون جميعًا يتبادلون أطراف الحديث.. كان "زين" هو أول من تحدث موجهًا حديثه إلى "ليام":

ـ كيف حال لوسيندا الآن؟

أجاب عليه "ليام" بنبرةٍ حزينة موجهًا نظره إلى شاطئ البحر:

ـ لا يوجد أي جديد، على حالها منذُ تلك الحادثة.

ليردف "زين" بسؤالٍ يعرف إجابته مسبقًا:

ـ وأين هي الآن؟

ليجيب "ليام":

ـ بالمركز الخاص بصديقتها أميرة.

رسم "زين" على ثغره ابتسامة أمل، وكأن الأبواب تفتح أمامه مرة أخرى.

بينما أردف "مروان" وهو يحتسي قهوته:

ـ ستكون بخير يا ليام، لا تقلق عليها، فشقيقتك قوية وستتعافى مما هي فيه الآن، سندعو لها كن مطمئن.

وقبل نهاية جلستهم تبادل "مروان" و"ليام" أرقام الهاتف بغية الاطمئنان، مما آثار حفيظة "زين"، وجعله ينظر إلى "مروان" نظرة جانبية، لكنه أخفى الأمر ولم يظهر ما بداخله، خشية أن يفتضح أمره.

❊❊❊❊

لم يتحسن حال لوسيندا رغم بدء "أميرة" جلساتها العلاجية من جديد.. كانت تستمع لها دون أن تجيب، تجلس القرفصاء وتتجنب الجميع، تركتها "أميرة" بعد أن حاولت إطعامها لتشرف على باقي المرضى.

وبذات الوقت وصل "زين" إلى المصح النفسي بزيارة مفاجأة بغية رؤية حبيبته "لوسيندا"، طالبًا مقابلة الطبيب المختص ليأذن له بزيارتها، ليجد "أميرة" تتقدم نحوه وهي تنظر له بغير استيعاب، لتخرج نبراتها حادة على غير عادتها وهي تحاوره بغية معرفة سبب قدومه قائلة:

ـ ماذا أتى بك إلى هنا!؟

ـ أنا هنا لزيارة لوسيندا.

ـ لم يسمح لها بالزيارة بعد، وغير ذلك أنت لن تدخل إليها أبدًا، حتى وإن سمح لها بذلك.

لتنقبض ملامحه في غضب وهو يسألها عن سبب منعه عن زيارتها..

نظرت له بنظراتها الثاقبة، وهي تقترب منه وتجيبه:

ـ لسببٍ بسيط جدًا يا زين، وهو أنك كنت سببًا من أسباب مرضها، وإن حدث وقمت بمقابلتها قبل أن تتعافى، ستتسبب لها بأذى أكبر، ولهذا أنت تحديدًا، لابد وأن تختفي من حياتها تمامًا.

لترتسم ملامح الحزن على وجهه ويتلعثم بقوله:

ـ أنا لم اقصد إيذاءها، أنا حقًا مجنون بها، وكل ما في الأمر أنني حاولت أن أوصل لها ما أشعر به نحوها.. ما حدث بيننا يحدث بين الجميع ولا أفهم ما حدث لكل هذا.

لتجيبه:

ـ لا يهم أن تفهم.. لابد وأنك تشعر بما هي فيه الآن، ولو أنك تحبها حقًا يجب عليك ألا تحاول الاقتراب منها ثانية، حفاظًا عليها.

فأجاب "زين" رافضًا:

ـ لكني لا أريد أن أرحل عنها قبل حتى أن أراها ولو من بعيد.

نظرت له في تحدٍ وهي تخبره:

ـ لو حدث واقتربت من غرفتها لا تلومن غير حالك، فأنا أحذرك أن تفعل.

وأمرت من يقف أمامها من رجال الأمن بمنع دخول أي أحد إلى غرفة "لوسيندا" دون علمها وإذنها الخاص، وغادرت بعد ذلك، نظر "زين" لغرفة لوسيندا وهو يردف قائلًا:

ـ سامحيني، سامحيني حبيبتي.

فجذبه رجل الأمن خارج القسم، ولكنه لم يرحل، انتظر "زين" بالاستراحة لحين محاولة أخرى لرؤية "لوسيندا" قبل رحيله عنها، مفكرًا بحيلة يستطيع بها الدخول إلى غرفتها، قام "زين" بتحين وقت تغيير طاقم الأمن، وذهب لأحد العاملين بالنظافة يرشوه بمبلغٍ من المال مقابل تسهيل دخوله لغرفة "لوسيندا" وبالفعل دخل إليها "زين" ليجدها نائمة، فاقترب منها وهو يتأملها قائلًا بحزن:

ـ لا أريد الرحيل عنكِ قبل أن تسامحينني يا لوسيندا، أنا لا أعلم ما بكِ ولكنك تؤلمين قلبي، ليت بيدي فعل شيء لأجلك فتعودين لي مرة أخرى.

يجثو على ركبتيه أمام فراشها وهو يبكي ويضع رأسه جانبها، لتشعر "لوسيندا" بنحيبه.. فتفتح عينيها بثقل وهي تحاول النظر إليه، رفع "زين" رأسه إليها، ليبتسم عندما رآها تفتح عينيها، فأمسك بيدها يقبلها قائلًا:

ـ حبيبتي.. أنا هنا جانبك.

جحظت عيناها وهي تنظر له، وجذبت يدها من بين يديه وهي تصرخ بوجهه ليبتعد عنها، لم يستطع إيقافها، لتهجم عليه وتمسك برقبته وهي تصرخ عاليًا:

ـ أنت من قتلتها، أنت من أنهيت حياتها.

حاول الإفلات منها فألقاها بعيدًا عنه، لتزداد صراخاتها ويجتمع طاقم العمل بالقسم على صوتها قبل أن يفر هاربًا، وبينما هو يفر تأتي "أميرة" مهرولة إلى الغرفة، فتلمحه بطرف عينها وهو يهرب فتهتف بهم قائلة:

ـ ألم أقل إن زيارتها ممنوعة!؟

من سمح له بدخول الغرفة إذن!؟

تتحدث معهم وهي تحاول السيطرة على "لوسيندا"، كل ما يهمها الآن هو إنقاذها، بعد أن ازداد صراخها وارتجافها، حتى أنها وجدت صعوبة في التعامل معها وإعطائها المهدئ.

في اليوم التالي استيقظت "لوسيندا" لترى "فارس، زين، المعلم، بائع الحلوى، والدتها"، جميعهم يلتفون حول فراشها وهم يرفعون أيديهم نحو جسدها فتصرخ.. وتصرخ وهي مغمضة عينيها بقوة، تضع يديها على أذنيها وهي تتذكر كل ما حدث معها، وكيف تمت معاقبتها - وهي الضحية - بقسوة وكأنها هي المذنبة، تتذكر "نادين" وما فعله بها "فارس"، فيتضاعف داخلها الخوف والرغبة في الخلاص من كل هذا.. ترى إنهاء حياتها هو خلاصها الوحيد من هذا العالم.. دلفت الممرضة إلى الغرفة إثر صراخها، وحين سمعت "لوسيندا" صوت باب غرفتها، فتحت عينيها لترى الممرضة بجانبها وهي تعبئ جرعة الدواء داخل المحقن قبل إعطائها إياه.. تنظر "لوسيندا" على المشرط الخاص بالأمبولات بيد الممرضة، لكن لم تواتها الفرصة.. فالممرضة حين انتهت وضعته بجيب البالطو الخاص بها.. قبضت "لوسيندا" على أسنانها وهي تنظر إلى باب غرفتها.. تمسح دموع عينيها وهي تنقل ناظريها بين الممرضة تارة وبين باب غرفتها تارة أخرى، فهناك باب جديد فتح برأسها وسيطر على تفكيرها، فالموت الآن هو سبيلها الوحيد.

✻✻✻✻

قام "مروان" بالاتصال بـ "ليام"، ليطمئن على حال "لوسيندا"، طالبًا منه أن يقابله، فأخبره "ليام" أنه يجلس بنفس المقهى الذي تقابلا فيه من قبل، فأخبره "مروان"

أنه على مقربة منه وسيصل إليه بعد قليل.. وبعد ما يقارب النصف ساعة كان "مروان" قد وصل بالفعل وبدأ حديثه قائلًا:

ـ ليام.. أنا أود أن تسمعني دون مقاطعتي، أملًا في الله أن توافق.

انتبه له "ليام"، وهو يتساءل:

ـ على أي شيء تود موافقتي إذن؟

ـ أولًا أنا أريد أن أقف جانب لوسيندا لحين أن تتعافى مما هي فيه الآن، وثانيًا أنا لست غريبًا عنها، فأنا صديق لها منذُ الصغر، وكانت تشاركني دومًا في مباريات الرياضة بالمدرسة...

وابتسم مروان وهو يخبره بأنها دوما كانت تتفوق عليه وتكسبه، ومن ثم يقومون بالشجار والتحدي سويًا، ليضحك "ليام" عليه قائلًا:

ـ أعلم هذا، فقد كانت تأتي إلي دومًا عقب كل مباراة تحكي لي ما حدث وتتفاخر بأنها تتفوق عليك، ولولا أني كنت أخشى هذه المسابقات حينها لكنت قابلتك أنا أيضًا.

ليضحك "مروان" قائلًا:

ـ كنت ستكون في فريقي الخاسر أكيد، أفضل لك أنك لم تشارك إذن.

وتشاركا الضحك، ثم تبدلت ملامح "ليام" وهو يردف قائلًا:

ـ أنا حقًا أشتاق إليها.. أريدها أن تعود لي كما كانت صغيرة.

وفر الدمع من عينيه.. فلم يتمالك السيطرة عليه ليخبره "مروان" بأنها ستعود، ولكني أود إخبارك بشيءٍ آخر:

ـ أنا لولا القدر لكنت مكان فارس الآن.

لينظر له "ليام" بعدم فهم، فاستكمل مروان حديثه:

ـ المصادفة هي من جمعتني بـ "لوسيندا" مرة أخرى وهي أيضًا من فرقتنا.. قبل

قدوم فارس كان هناك عريسًا آخر سيأتي لزيارتكم عن طريق ليلى صديقة لوسيندا.. أنا هو نفس ذات الرجل.. ولم أعلم بذلك سوى يوم خطبتها على فارس، ولذلك أخبرت ليلى بألا تخبر أحدًا عن الأمر.. وأنا الآن هنا لأخبرك أن رغبتي لم تتوقف فقط عند مساندة لوسيندا حتى تتعافى، بل رغبتي حقًا هي في استكمال طريقنا للنهاية، أود أن أشاركها حياتها كما شاركتني هي مباريات الرياضة ولا مانع لدى أن تتفوق علي كعادتها.. زادت رغبتي في الارتباط بها أكثر عندما علمت أنها هي فتاة المباريات الخارقة...

ليدير وجهه عن "ليام" ويستأنف حديثه قائلًا:

ـ إنني أحبها منذُ صغري يا ليام.. هذا ما اكتشفته.. فهل ستساعدني؟

ابتسم له "ليام" وهو يمد يده له قائلًا:

ـ بكل تأكيد سأوافق.

وبينما هما كذلك دق هاتف "ليام"، ليجد "أميرة" تخبره بأن "لوسيندا" هربت من المصح النفسي، ثم تردف قائلة:

ـ لم أكن معها.. أنا لا أعلم كيف حدث ذلك.

أغلق "ليام" هاتفه.. وهو يحاول الاتصال بوالدته ليسألها إن كانت "لوسيندا" أتت إلى المنزل!؟ فتجيبه والدته بالنفي وتسأله عما حدث، وكيف خرجت لوسيندا من المصح بحالتها تلك!؟

ليطمئنها قائلًا:

ـ أنا سأجدها ونأتي إليكِ.. لا تغادري المنزل قبل أن نعود..

ثم أخبر "مروان" بما علم به، ليدب الخوف داخلهما خوفًا بأن يصيبها مكروه أو تتأذى، وهي على تلك الحال، ليبتعد عنه "مروان" وهو يخبره:

ـ سأبحث عنها في كل مكان وأنت أيضًا، ومن يجدها فليخبر الآخر.

****

كان الأمر أشبه بالأحجية.. سباق مع الوقت.. الهدف واضح.. والطريق مجهول..

أو هكذا ظن "مروان"، كان عقله أشبه ببركانٍ ثائر.. عيناه ترقبان الطريق تبحث بين المارة تارة وبين شاطئ البحر تارة أخرى، الوقت متأخر.. رغم ذلك تبدو الطرق مزدحمة على غير العادة، قطرات الندى تتسلل مرتدية ثوب الشتاء، فيهلل البعض ستمطر.. ستمطر.. ويثور هو فيزداد ضيق صدره ويزداد قلبه اشتعالًا.. ها هو المطر يعلن عن رغبته في التضافر مع الوقت والطريق..

يضرب بيده مقود السيارة صارخًا:

ـ تُرى أين ذهبت لوسيندا؟ وعلى ما تنتوي؟

لكن ما من مجيب!

فقط عوائق تزداد.. فتحجب الرؤية لكنها لا تحجب إصرار قلبه على أن يجدها قبل فوات الأوان..

كان بعقله هاجسٌ يطمئنه، هي لم تبتعد ولن تبتعد عن نطاق الشاطئ، فالمصح ليس ببعيد، وعقلها ينشد الهدوء.. لذا لم تترك عيناه شبرًا قريبًا كان أم بعيد دون أن تقتله بحثا عن "لوسيندا"، وبينما هو غارق في تفكيره إذا به يلمحها من بعيدٍ تعبر الطريق غير مكترثة للسيارات، وكأنها لا تراهم.. فينهرها أحد السائقين غاضبًا، فيعلو صوتها تعيد له سبته وتتشاجر معه، فتقف السيارات ويتجمع المارة..

حاول "مروان" أن يتنفس الصعداء أن وجدها أخيرًا.. لكن كيف يتنفس الصعداء والمسافة والزحام كفيلان أن تبتعد.. فيفقدها مرة أخرى!؟

كان الحل الأقرب أن يترك سيارته بجانب الطريق ويحاول اللحاق بها.. لكن وقبل أن يصل كانت تبعد الناس عن طريقها بعد أن اجتمعوا حولها إثر شجارها مع السائق، فظل يتابعها بعينيه، حتى ما إن اقترب، رآها تدخل مبنى ذا ارتفاعٍ شاهق، فأسرع

إليها وهو يلهث.. حتى وصل إلى نفس ذات البناء لكنها كانت سبقته واختفت مستخدمة المصعد.

انتظر مروان هبوط المصعد ليستقله مسجلًا نفس رقم الطابق الذي رآه يستقر به منذ قليل، وهو يتمتم بالدعاء، بأن يجدها سليمة معافاة ولا يرى بها أي مكروه.. وقف باب المصعد بالطابق الأخير ليخرج منه "مروان" يتلفت حوله باحثًا عنها، ليجدها جالسة جوار الجدار وبجانبها طفلة صغيرة تربت على رأسها.. تنفس الصعداء وقام بالاتصال على "ليام"، ليخبره بأن "لوسيندا" أمام عينيه، وأملى عليه العنوان ورقم الطابق.. كان "مروان" يقف بعيدًا عنها بخطواتٍ قليلة، ولكنها لم تنتبه له كأنما لا تراه، كان يستمع لهما وهو يستعيد ذكرياته معها أثناء فترة دراستهما سويًا، فترتسم على ثغره ابتسامة، ويردف قائلًا لنفسه:

ـ لن أدعكِ تضيعين من بين يدي هذه المرة، سأقف جانبك حتى تعودي كما كنتِ حبيبتي.

وبعد قليل كان "ليام"، و"أميرة" يقفان بنفس الطابق جوار "مروان"، بينما سيارة الإسعاف الخاصة بالمصح أسفل المبنى.. حينها فقط تشجع "مروان" بالاقتراب للمرة الأولى مادًا يده إلى لوسيندا، لكنها نظرت له مرتابة وانكمشت على نفسها جوار الجدار محاولة الابتعاد.. فتراجع للوراء تاركًا الفرصة لـ "ليام، وأميرة".. مد "ليام" يده لها محاولًا محادثتها بهدوء.. خوفًا من أي رد فعل غير محسوب، بينما أميرة خلفه تعد المحقن الخاص بالمهدئ، لكنها كانت تهز رأسها بالرفض، فأمسكت الطفلة يدها تربت عليها بلطفٍ قائلة لها:

ـ اهدئي حبيبتي، لا داعي للخوف، اذهبي معهم.

ليختلف حال "لوسيندا" فتعود لهدوئها الذي كانت عليه قبل قليل، بينما قلبها يحمل مشاعر مختلطة بين الخوف والاطمئنان، فتمسك بيد "ليام" ليساعدها على النهوض.. التطور الذي دفع "أميرة" للتخلي عن استخدام المحقن وأن تهم بالاقتراب لمساعدة "ليام" على إيصالها إلى المصعد، ومن خلفهم "مروان" يتابع

في صمت.. ذهبت معهم "لوسيندا" بعد أن ودعت الطفلة وهي تبتسم، وظلت على هدوئها... حتى وصل الجميع إلى سيارة الإسعاف؛ ومن ثم إلى المصح بسلام.

****

مرت الأيام والشهور بعد ذلك دون نوبة هياج واحدة.. وكأن تلك الطفلة بالبناية كانت قرص من الاطمئنان ممتد المفعول تناولته "لوسيندا" بأشد حالاتها ضعفًا، فساعدها على الاستجابة لباقي أنواع العلاج.

أخضعت أميرة لوسيندا لخطة علاجية محكمة.. سمحت خلالها بزيارة "ليام" وحده بالفترة الأولى، حتى تحسنت "لوسيندا" بالقدر الكافي لرؤية باقي أفراد أسرتها وصديقتها المقربة "ليلى"، أما عن "مروان" فلم يترك يومًا دون السؤال عنها، إما عن طريق الهاتف أو من خلال زياراته المتكررة للمصح ومقابلة طبيبتها "أميرة" دون محاولة أن يراها عن قرب، قبل أن تصل للدرجة الكافية من التعافي.. لكنها عرفت بمرور الوقت من "ليام، وأميرة".. كانت كلما ذكر اسمه تبتسم وتتذكر أيام المدرسة وسباقات الطفولة.

كل المؤشرات كانت تشير لاستجابة "لوسيندا" بشكلٍ ملحوظ خلال شهور كاملة، مما يؤكد رغبتها الأكيدة في التعافي.. مما دفع الجميع لانتظار الأفضل.

****

بعد مرور ست شهور بالمصح النفسي..

جلست "لوسيندا" بشرفة غرفتها بالمصح، وبيدها دفتر أحضرته لها "أميرة"، بعد أن أقنعتها بكتابة كل ما تشعر به، ليساعدها ذلك في التخلص مما تبقى من أثر لما مرت به خلال الفترة الماضية.. وبالرغم من أنها وجدت صعوبة في فعل ذلك أول مرة، كان بداخلها ما يدفعها إلى أن تستسلم لتلك الفكرة وبالفعل بدأت "لوسيندا" كتابة كل ما يقتحم رأسها، وما كانت لا تستطيع البوح به، قررت "لوسيندا" أن تكتب تجربتها.. ظلت تكتب، وتكتب، وتكتب... وكأن الكتابة أصبحت هي ملاذها

الوحيد، تركت "لوسيندا" الدفتر بعدما ظلت تكتب لبضع ساعات، ثم احتضنته وهي تبتسم وتنظر إلى السماء لتعيد بعدها الإمساك بالقلم لتكتب بدفترها من جديد..

«وبعد كل ما مررت به من مِحن، كان هناك دومًا طريقٌ ينير لي كُلما يئست، وكأنه يبسط ذراعيه لاحتضاني، والآن وبعد ما أصبح بداخلي رغبة قوية في الشفاء، وإعادة بناء نفسي من جديد، أشعر بشيء يضيء داخلي، ويمدني بالقوة أكثر، أريد أن أخرج للعالم مرة أخرى، ولكن ستكون "لوسيندا" جديدة هذه المرة، أريد أن أحقق كل ما كنت أحلم به منذُ صغري، وأكثر ما يسعدني هو أنني كُلما أتذكر ما حدث لي، لا ينتابني سوى الشعور بالقوة لأنني مررت بكل هذا وما زلت أقف على قدمي، والآن أريد حقًا الخروج من هنا، وأنا ممتنة لكل من كان سببًا في شفائي، ومن كان سببًا أيضًا فيما تعرضت له، فلولاه ما كنت هكذا...

حقًا.. كل ما يحدث لنا فهو خير، حتى وإن كان بالنسبة لك هو أبشع ما يمكن حدوثه، ولكن دومًا هناك الخير في كل شيء..

أمي.. لا توصف بكلمة ولكنها أشبه بسقوط الندى على أرضٍ تشققت عطشًا.

أبي.. منبع للحب والعطاء.

ليام.. رفيق الروح.

زين.. علمت من "أميرة" مؤخرًا أنه بدأ تلقي بعض جلسات العلاج.. كطبيبة لم يكن عليها كشف أسرار مرضاها، لكنها فعلت ذلك دون الإفصاح عن أي تفاصيل، لا أظنها أخطأت، فما أخبرتني به أسعدني كثيرًا، ليس هذا فحسب، بل طمأنني أيضًا..

فارس.. جرحٌ أكبر من أن يندمل.. جزء داخلي يشفق عليه كونه ضحية والد أهمل في علاجه، وجزء آخر يلومه هو على كل ما حدث.. لا أستطيع أن أغفر له جرح قلبي، وألم ندى ومقتل نادين.. ربما لو كان بادر بتلقي علاجًا ما.. ربما لو حاول مراجعة مختص لما كان حدث كل ذلك.. ربما لو لم يتزوجني لما ضاعف من خطيئته تجاه شخص جديد..

مروان.. صديق الطفولة، طوق النجاة.. جزء من اللون الأبيض بهذا العالم..

أخبرني "ليام" بكل شيء.. أخبرني بمشاعره البريئة نحوي.. لكن لا.. لن أحاول إعطاءه الفرصة أو التجاوب معه قبل أن أصل للتعافي الكامل.. حينها سأقرر بملء إرادتي.. إن كان نعم.. أم لا.. عدا ذلك فهو خطأ جسيم وظلم له، أما الآن فسأكتفي بصداقته وأعلم أنه سيتفهم..

المستقبل.. تحقيق أحلام، نجاح، وربما أكثر من ذلك، من يدري..

ومن بين كل الأحلام هناك حلم هو الأقرب إلى قلبي، أحلم بإنشاء مركز حقوقي لدعم ضحايا الاعتداء الجنسي، صغارًا كانوا أم كبار، وإيصال صوت ألمهم للقضاء حتى يتمكن من محاسبة الجناة، لكني لن أتمكن من تحقيق الحلم وحدي، سأحتاج لتضافر كل الجهود معي.. سأحتاج الجميع إلى جانبي، وأولهم "أمي، أبي، لبنى، ليلى، أميرة، مروان، وليام".

هم أول دعم لي، وأهم دعم..

دفتري هذا..

أظن أنني لن أتخلى عنه أبدًا، فهو جزءٌ من دلائل قوتي.. هو مقدرتي على المواجهة، هو رغبتي في التعافي.. ولربما حولت ما دونته به لروايةٍ يومًا ما.. لتصبح روايتي ناقوس الخطر الذي يدق داخل كل منزل ليخبر الآباء والأمهات أن الأبناء ضحايا تحتاج الدعم، لا جناة.. ليقابل ألمهم بالقسوة خوفًا من سوط المجتمع واتهاماته.. الأبناء أهم من صوت المجتمع وسوطه.. وإنقاذهم بداية حياة».

فهرس

الفصل الأول ٥

الفصل الثاني ١٠

الفصل الثالث ٢١

الفصل الرابع ٣٦

الفصل الخامس ٤٣

الفصل السادس ٥١

الفصل السابع ٦١

الفصل الثامن ٧٩

الفصل التاسع ٩٣

الفصل العاشر ١٠٩

الفصل الحادي عشر ١٢١

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيـــداع:	٢٠٢٢/٢٣٠٦١
الترقيم الدولي:	١ ـ ٨٧ ـ ٦٩٥٣ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨

..لن أخبر أحد..

بيدوفيليا

هذا الكتاب سيوضح لك ما يتسبب به الخوف الزائد من قبل عائلتك،
سترى ما يحدث خلف الستار قبل عرض المسرحية،
ستعيش معه كواليس تتكرر مُنذُ سنوات، تظهر وتختفي،
ويبقى الأثر مهما طال الزمن عليها.
بطلة روايتي الأولى..
تعرضت لأكثر الطرق وحشية من الإعتداء الجنسي،
تحولت حياتها أثر ذلك، فكيف كانت وما أصبحت عليه..؟!
سترى ذلك بين طيات صفحات الرواية

اسماء سالم
من مواليد الجيزة 1990
لها عدة مقالات بأكثر من موقع إلكتروني،
شاركت في العديد من المسابقات الأدبية حتى صدر لها
كتاب مجمع تحت عنوان مصنع الأكاذيب عام 2021،
وكتاب حصري خاص بجريدة فكر الأردنية مجمع بعض القصص والمقالات الخاصة بها،
و رواية بيدوفيليا " لن أخبر أحد " هي أولى اعمالها المنفردة

تصميم غلاف: زهو عبدالحميد